

السبيل إلى التقارب بين الفرق الإسلامية

تأليف

أ.د. فرحات بن علي الجعيري

الأجيال

السَّبِيلُ إِلَى التَّقَارُبِ بَيْنَ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ

تأليف

أ. د. فرحات بن علي الجعبيري

الطبعة الأولى
جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ يونيو ٢٠٠٧ م

حقوق الطبع محفوظة

الإخراج والتصميم
المكتب الفني للأجيال



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الدكتور يحيى بن محفوظ المنذري

رئيس مجلس الدولة بسلطنة عمان

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِي﴾ (٢١ الأنبياء ٩٢).

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِي﴾ (٢٣ المؤمنون ٥٢).

إنَّ الجمع جماعة، والتفرّق فرقا، ليس من خصوصيّات الإسلام اختصّ بها دون غيره من الأديان والتجمّعات. إنّما هي ظاهرة إنسانية، بل قل حيوانية عموما، أو كونية بصورة أعمّ. الكون، وكلّ شيء في الكون، حركة لا سكون فيها ولا استقرار على حال. الوجود حركة، وموجد الوجود ﴿هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (٢ البقرة ٢٥٥)، ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٥٥ الرحمن ٢٩).

اليوم لا يشكّ شاكّ في أنّ الكون له بداية، وأنّه نشأ عن حركة حرّكته في لحظة تبعد عنا، حسب علماء الفضاء، بزمن يقدر بخمسة عشر مليار سنة ممّا يعدّون. قضية قدم المادّة قد انتهى أمرها، وكم فرّقت علماء الإسلام، من أهل الحديث، وأهل الكلام، وأهل الفلسفة، إلى فرق! وكم حكم برّدّة هذا وكفرّ ذاك من أجلها! وكم أريقّت من دماء بسببها! غفر الله للجميع، إنهم كانوا لا يعلمون:

إنَّ ما يسمّيه علماء الفضاء «بالانفجار العظيم» (Big Bang) الذي نشأ عنه الكون الذي نعيش فيه، والذي أصبح من الحقائق العلميّة الثّابتة بالحساب والمشاهدة، هو ما يسمّيه الله «بالانفطار»، وبذلك سمّيت سورة الانفطار، وهي سورة مكيّة تحمل نفس الرّقم في ترتيب النّزول والتّلاوة: ٨٢. وتبدأ هذه السّورة بقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (٨٢ الانفطار ١-٥). وواضح أنّ هذا الانفطار ليس بانفطار البداية، أو «الانفجار العظيم»، وإنّما هو انفطار النّهاية، نهاية الكون الذي ينشأ عن قوله: ﴿كُنْ﴾، فالأمر بحركة الامتداد هو الذي كوّن الكون الذي لم يزل، حسب علماء الفضاء، في حالة امتداد، أي في حالة دفع بعامل القوّة الطّاردة المركزيّة، حتّى إذا ما بلغت هذه القوّة الطّاردة نهايتها، وفنيت فاعليّتها، عقببتها حتما قوّة معاكسة، قوّة جاذبة إلى المركز، متسارعة، وهي التي توحى بها سورة الانفطار.

فالتّجمّع والتّفرّق هو إذا ناموس الكون، نشاهده في كلّ شيء، في العالم الأكبر والعالم الأصغر على السّواء. فالحركيّة، بيّديها الطّارد والجاذب هي عين الحياة وجوهرها، وفقدانها يعني الموت. فبقدر ما يكون المجتمع حيّا تكون فيه الحركة قوّة، ومنها حركة التّجمّع والتّفرّق، وبقدر ما يضعف ويقترب من الموت، يسوده السّكون والكساد والرّكود في كلّ المستويات وفي المستوى الفكري على الخصوص.

أمر الفرق ما يزال يفرّق بيننا ويقتل أفكارنا.

وهذا ما يكسب مؤلف فرحات الجعبري حاليته وحينيته. فهذا المؤلف ليس مفيدا لأننا نجد فيه تحليلا واضحا لمؤلف الشهرستاني فقط، بل لأن صاحبه يحض على قراءة نصوصنا «العريقة والحديثة» «قراءة جديدة تعمل على فهم كل فرقة من داخل منظومتها» ويدعونا إلى الكف عن «التنازع بالألقاب» عملا بأمر الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (٤٩ الحجرات ١١)، وإلى السعي إلى التقارب.

هذا هو الاتجاه الصحيح الذي يمكننا اليوم جميعا - لا شيعة وأحزابا - من تجديد الفكر الإسلامي. وليس الأمر سهلا. فهناك من يريد أن يقيس الحاضر بمقياس الماضي. وهؤلاء لا نغيب عليهم اتجاههم ورأيهم. وأنا أعتبرهم من أممي، أمة التوحيد والعبادة والتقوى. غير أنني لا أقبل منهم بأي حال من الأحوال اعتماد الإرهاب الفكري والجسدي. إنني لا أقبل الحوار مع من يمسك بيده خنجر الردة، فإذا ما بلغ خلافي معه مبلغا اعتبره من منظوره ردة، استتابني، أي فرض عليّ اتباع رأيه، وإن لم أفعل طعنني بخنجره، واعتبر ذلك فرض عين عليه، وعده من حسناته التي يتقرب بها إلى الله. إنني أعتبر - بكل وضوح - من يسلك هذا السلوك، مجرما يجب أن يعامل معاملة كل المجرمين بل هو أخطر المجرمين إجراما لأنه يبرر الإجرام على قواعد لاهوتية تحرض على الإجرام وتدعو إليه، تنطلي على البسطاء من الناس وتحولهم إلى مجرمين. وما الدماء التي سالت قديما وتسيل اليوم إلا من جرّاء هذا الموقف الآثم المجرم. فلا تسامح ولا حوار مع من يبرر الإجرام ويدعو إليه. فإذا ما كانت في كتب الفرق فائدة، فهي فيما نستخلص منها

من تفرّق أدّى إلى تنافر المسلمين وتناحرهم وإعمال سيوفهم بعضهم في بعض. لا تعامل مع من يبرّر العنف، مهما كان دينه أو مذهبته أو فلسفته. هذه هي الفتنة الكبرى.

وهناك خطاب مشتبّه، وهو خطاب الكثير من المثقّفين ثقافة غربيّة، من «المولّدين» الذين ولدوا في بيئة إسلاميّة، وانسلخوا من الإسلام بحكم المثاقفة الغربيّة. وانسلاخهم يصل بهم إلى حدّ الإفصاح والوضوح لأسباب وعقد عديدة في أحسن الحالات، أو قصد التلبّيس المضمّر - الذي لا تنفيه في بعض الحالات - للنّفوذ بصورة أمرن وأنجع إلى غايتهم. ويمكن أن نلخّص هذه الغاية في الاعتقاد أنّه لا منفذ إلى الحداثة إلّا بالتخلّص من الإسلام عقيدة وسلوكا، مع المحافظة على إرثه الثّقافي الحضاريّ، لما في ذلك الإرث من دعم للهويّة الوطنيّة وإكسابها منزلة لائقة بين الأمم. بل هناك من يرفض هذا الإرث الثّقافي في البحث. المعتدلون من الإنسلاخسلا ميين لا يرفضون القرآن رفضا كليّا إلى حد البراءة منه، لكنّهم يعتبرونه عملا بشريّا، حاله حال كلّ النصوص الأدبيّة، لم يبلغنا على وجهه ولا بتمامه (١١). ويجب أن يعامل القرآن عندهم معاملة كلّ النصوص التي من نوعه (١٢)، وذلك يقتضي أوّلا رفع القداسة عنه. وهو موقف ذو ظواهر وبواطن. وقد قلت لبعضهم يوما: «إنّه فيه أخلاقيّة..» واعتبرت ذلك قدرا أدنى يمكن أن يسلم به الجميع بقطع النّظر عن الاعتقاد. ففاجأني مبتسما وملامحه تقول: «من أين له ذلك!...».

هؤلاء لو أفصحوا لكان أحسن، لأنّ الحوار معهم - من أجل الحداثة -

يكون أثرى وأفضل. فالإسلامولوجية (Islamology)، على الطريقة الغربية، هي اختصاصهم. من هذه الناحية فإن إضافتهم لا تفيد إلا من يجهل اللغات الغربية. لكن الحوار معهم من أجل الحداثة في الفضاء العربي الإسلامي ضروري، لأنهم جزء من هذا الفضاء. وذلك لأن الأمة، بمفهومها القرآني كما أثبتناه في مستهل هذا التقديم شيء، والوطن شيء آخر. الأمة مجموعة روحية، حدودها من عبادة وتقى، والوطن مجموعة مدنية، حدوده ترابية. من أمّتي الإسلامية كل من يتجه إلى القبلة مهما كان موضع قدميه في الأرض، في الصين أو الشيشان، أو السويد، وهي مفتوحة لكامل البشرية. وليس من أمّتي من يرفض نداء الله، ولو كان من أقرب أقاربي. فالحوار من أجل الحداثة يجب أن يكون - بكامل الصراحة والوضوح - بين كل الأطراف على اختلاف اعتقاداتهم وآرائهم، بين كل فرق يومنا.

وهناك خطاب المفكر المسلم، وإنني أعدّ فرحات الجعيري مفكراً مسلماً. فهو في مقدّمته يدعو إلى التقارب بين كل المسلمين. وذلك يستلزم طبعاً، لا الكف عن التنازع بالألقاب فقط، بل الكف عن تبرير العنف والدعوة إليه أولاً وقبل كل شيء، إذ العنف أشنع.

الطرد والجذب، وما يتبع ذلك من تجمع وتفرق، وائتلاف واختلاف، سنة الحياة كما أرادها الله. هو سرّ من أسرار الله في الكون من أعلاه إلى أسفله، وهو محرّك الوجود. والتفرّق الذي يذمه الله وينهاها عنه ويحذّرنا منه، هو ذاك الذي يجرّ إلى العنف وإراقة الدماء بغير حق، ويخرّب الكون ويقوّض أركانه، ويؤدّي إلى الفساد في الأرض، والله ﴿لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢٨ القصص ٧٧).

قال الله عز وجل :

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ
فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

(٣ آل عمران)

الرَّمُوز

ت : قبل التاريخ : توفى (ت ٩٣ هـ) .

/ : العدد على يمين الخط : تاريخ هجري . وعلى يساره : تاريخ ميلادي . مثال
١٩٨٧/١٤٠٨ .

/ : الرقم قبله يشير إلى الجزء أو المجلد ، وما بعده إلى الصفحة .

= : التعليق يتواصل في الصفحة الموالية .

البارونية : المكتبة البارونية بجربة حومة الحشان .

ج : جزء .

خ : مخطوط .

المعجم المفهرس : أي لألفاظ الحديث : لونسنك .

ر : راجع .

ص : صفحة .

ط : طبعة .

م : مجلد .

E.I. , Encyclopédie de l'Islam.

E.I₁. ancienne ed. El₂ nouvelle ed.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

المقدمة

إن الكتابة في قضية الفرق الإسلامية ليست هيئنة، ولا يتصور أن تدريسها أهون، ولكن ليس معنى هذا أن نستسلم لأن الجلوس على الرّبوة أسلم.

لذلك ما فتئ فرع الحضارة في أقسام الآداب العربية بالجامعة التونسية يثير قضية الفرق الإسلامية إيماناً منه ومن جميع المشرفين عليه أنه آن الأوان أن نقرأ النصوص العريقة والحديثة في هذا الشأن قراءة جديدة تعمل على فهم كل فرقة من داخل منظومتها، ومثل هذه القراءة من شأنها أن تناقش الكتابات الشمولية في هذا الشأن، تلك القراءات التي لم تتمكّن في زمانها لأسباب موضوعية من أن توفر بين يديها نصوص جميع الفرق، ولعدم توفر هذه النصوص ظلّ بعضها يأخذ عن بعض على أساس أن المتأخر يثق في الأول، واستمر الأمر على هذه الحال إلى اليوم في بعض الدراسات التي تكتفي بالنقل عن الأقدمين على أن جميع ما ورد عندهم يكاد يكون مقدّساً، ولم لا نقول مقدّساً عند بعضهم.

في هذا الإطار فكّر أساتذة قسم العربية بكلية الآداب بالقيروان جامعة الوسط في آخر سنة ١٩٨٧ أن يدرّسوا مسألة وسمّوها بـ «نشأة الفرق الإسلامية من خلال كتاب الملل والنحل للشهرستاني».

وكان من نصيبنا تدريس هذه القضية درسا مدمجا لطلبة السنة الأولى إجازة عربية بتعاون مع زملاء من أهل الاختصاص، وبهذا تمخّضت النواة الأولى لهذا البحث.

وقد تراءى لنا من ذلك الحين أنّ الشّهْرستاني كغيره من المؤلّفين في الفرق الإسلامية أبدع في مواطن، وزلّت قدمه في مواطن أخرى، شأنه في ذلك شأن كلّ باحث، يصيب ويخطئ لأنّ الكمال لله تعالى ولأنبيائه ورسله المعصومين.

ثمّ ازدادت ملاحظاتنا تَبَلُّورا عندما أتاحت الفرصة أن ننطلق من هذه الملاحظات التي عايشناها مع الزملاء والطلّبة سنتين جامعتين (٨٧-٨٩) كما هو الشأن مع كل المسائل في الجامعة التونسية لإلقاء سلسلة من المحاضرات على طلبة معهد القضاء الشرعي والخطابة والوعظ والإرشاد التابع لوزارة العدل والأوقاف بسلطنة عمان سنة ١٩٩١، ثمّ على طلبة كلّية التربية والعلوم الإسلامية ومن ينضمّ إليهم من بقيّة الكليات بجامعة السلطان قابوس سنة ١٩٩٢، مع الملاحظ أنّ هذه المحاضرات مسجّلة على المسموع والمرئي وكان يحضرها زملاؤنا مع طلبتهم.

ثمّ تمكّنا من العودة إلى هذا العمل بشيء من التّمحيص عندما ناقشنا نصوص الشّهْرستاني مع طلبة السنة الثالثة آداب عربية بكلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تونس الأولى لسنة واحدة، سنة ١٩٨٦-١٩٨٧ وذلك ضمن درس موجه.

لا شك حينئذ أنّنا استفدنا ممّا أثير من نقاش مع طلبتنا ومن زملائنا فلهؤلاء جميعا وغيرهم ممّن ناقشنا معهم القضايا المطروحة في هذا العمل المتواضع جزيل الشّكر.

وبعد أن طرحنا قصّة هذا البحث يحسن أن نثبت أننا وطّأنا له بتعريف مختصر للشهرستاني يفي بالغرض في رأينا.

ثمّ أثرنا قضية الافتراق دون تحليل كما جاءت في القرآن الكريم ثمّ في الحديث الشريف، ولا نخفي هنا اعتمادنا الكلّي في شأن الحديث على عمل زميلنا عمر بن حمادي أستاذ التاريخ بكلية الآداب بمنوبة قسم التاريخ جامعة تونس الأولى، واختيار المرء جزء من كيانه كما يقال.

ثمّ قسّمنا عملنا إلى مبحثين :

المبحث الأول : خصّصناه لعوامل نشأة الفرق الإسلامية، تلك العوامل التي كانت سياسية وأصولية واجتماعية وثقافية ومالية حتى لا نقول اقتصادية، وبيننا وعي الشهرستاني الكامل بهذه العوامل وخاصة منها السياسية - الإمامة - والأصولية ولم لا نقول العقديّة.

المبحث الثاني : وقفنا فيه عند قضية شائكة تتعلّق بتسمية الفرق وألقابها، والفرق شاسع من النقيض إلى النقيض بين هذين المصطلحين التحويين فإن كان الأوّل يعنى الإعجاب أو على الأقلّ مجرد التمييز فإنّ الثاني أساسه الذمّ والتقبّيح والتّنازع بالألقاب غالباً.

وانطلاقاً من نصوص الشهرستاني حاولنا أن نتصف كلّ فرقة من صفاتيّة إلى قدريّة إلى شيعة إلى خوارج حسب عبارة الشهرستاني الأولى في تقسيم كبار الفرق الإسلامية، وهذا بالرجوع إلى كلام الشهرستاني نفسه أولاً وإلى منظومات هذه الفرق وما تختاره لنفسها من الأسماء ثانياً.

وفعلًا لو سُمّي أتباع الفرق الإسلامية بعضهم البعض بما تختاره كل فرقة من الأسماء واجتنبوا التنازع بالألقاب كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ (٤٩ الحجرات) لجنبوا الباحثين عناء كبيرًا، ولتمكّنوا من التقارب فيما بينهم يوما بعد يوم إلى أن يصيروا كالبنين المرصوص، وهذا ما سعيًا وسنسى إلى تحقيقه إن شاء الله تعالى في هذا البحث، وفي غيره من أعمالنا التي نرجو أن تكون علمية موضوعية بقدر الإمكان، ولا ندعي في ذلك أننا أدركنا كبد الحقيقة، بل نحن في أمس الحاجة إلى ملاحظات العارفين في هذا الفن حتى نستفيد منها في مستقبل بحوثنا.

أمّا الخاتمة فقد عملنا على أن نحصي فيها مواطن التوفيق عند الشهرستاني ومواطن الانزلاق - والميدان كله مزالق - والله الموفق إلى الصواب نعم المولى ونعم النصير.

فرحات بن علي الجغبيري

تونس في ٢٤ رجب ١٤٢٠

٣ نوفمبر ١٩٩٩

توطئة

إن المتأمل في سيرة أبي الفتح^١ محمد بن عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد
الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨ / ١٠٨٦-١١٥٣)

الأشعري الشافعي^٢ وفي مجموع مؤلفاته يدرك مدى اهتمامه بالملل والنحل عامة
وبالفرق الإسلامية وعلم الكلام خاصة، وهاهو يصرح بذلك بنفسه في مقدمة

- ١ - اسمه محمد بن عبد الكريم بن أحمد، وكنيته أبو الفتح، وشهرته المعروف بها الشهرستاني، نسبة إلى بلدة «شهرستان» مسقط رأسه ومثوى رفايته، وهي شهرستان خراسان، بين نيسابور وخوارزم في آخر حدود خراسان، وهي التي بناها عبد الله بن طاهر أمير خراسان في خلافة المأمون، وقد أخرجت خلقاً كثيراً من العلماء.
- أما مولده، فقد اختلف في تاريخه والراجح أنه ولد سنة ٤٧٩ هـ وتوفي في شعبان سنة ٥٤٨ هـ الموافق ١٠٨٦ - ١١٥٣ م. وبذلك يكون قد عاش قرابة السبعين سنة.
- والشهرستاني من حيث المذهب شافعي، ومن حيث الأصول أشعري، كان إماماً مبرزاً فقهياً متكلماً، واعظاً محاضراً. قال عنه الخوارزمي في تاريخ خوارزم: «دخل خوارزم واتخذ بها داراً وسكنها مدة، ثم تحول إلى خراسان، وكان عالماً حسناً، حسن الخط واللفظ، لطيف المحاور، خفيف المجازرة، طيب المعاشرة، تفقه بنيسابور على أحمد الخوافي وأبي نصر القشيري، وقرأ الأصول على أبي القاسم الأنصاري، وسمع الحديث على أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد المدائني وغيره... خرج من خوارزم سنة ٥١٠ / ١١١٧.
- وحج في هذه السنة، ثم أقام ببغداد ثلاث سنين، وكان له مجلس وعظ في النظامية «وهي أعلى المدارس ببغداد» وظهر له قبول عند العوام، وكان المدرس بها يومئذ أسعد الميهني، وكان بينهما صفة سألته بخوارزم، فقرّبه أسعد لذلك... وكان قد صنف كتباً كثيرة في علم الكلام... ثم عاد إلى بلدة شهرستان فمات بها سنة ٥٤٩ / ١١٥٤ أو قريباً منها، ومولده سنة ٤٦٩ / ١٠٨٦».
- وكان الشهرستاني مولعاً بطلب العلم، يطوف بالبلاد الإسلامية يتعلّم ويعلم، وبلغ من جلال مجالسه العلمية أنها كانت تدوّن وذلك لعمقها. ومن صفوة الشيوخ الذين كانوا يحضرون هذه المجالس: أبو الحسن ابن حمويه، والبيهقي، والإمام أبو منصور، وموفق الدين أحمد الليثي، وشهاب الدين الواعظ، وغيرهم من أئمة الفقه والعلم.
- ويعد أن أورد المقدمان نماذج من آراء النقاد في الشهرستاني أورداً ذكر مؤلفاته:
- ١- الإرشاد إلى عقائد العباد: ذكره الشهرستاني نفسه في كتابه «نهاية الإقدام».
- ٢- الأقطار في الأصول. نسبه إليه الخوارزمي.
- ٣- تاريخ الحكماء. نسبه إليه (كيبورتن) في مقدمته لطبعته لكتاب «الملل والنحل».
- ٤- تلخيص الأقسام لمذاهب الانام، نسبه إليه ابن خلكان، وأبو الفداء، وحاجي خليفة.
- ٥- دقائق الأوهام. نسبه إليه الخوارزمي.
- ٦- شرح سورة يوسف بعبارة فلسفية لطيفة نسبه إليه الخوارزمي.
- ٧- العيون والانهار. نسبه إليه البيهقي.
- ٨- غاية المرام في علم الكلام. نسبه إليه الخوارزمي.
- ٩- قصة موسى والخضر. نسبه إليه البيهقي.
- ١٠- المبدأ والمعاد. نسبه إليه الخوارزمي.
- ١١- مجالس مكتوبة. راجعاً البيهقي. وكانت المجالس لا تكتب إلا نادراً.
- ١٢- مصارعة الفلاسفة، أو المصارعة والمضاربة. نسبه إليه صدر الدين الشيرازي.
- ١٣- مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار في تفسير القرآن. نسبه إليه البيهقي.
- ١٤- المناهج والآيات. نسبه إليه البيهقي وابن خلكان وأبو الفداء.
- ١٥- شبهات أرسطاطاليس وابن سينا ونقضها. ذكرها الشهرستاني نفسه.
- ١٦- نهاية الأوهام. أشار إليه الشهرستاني في آخر كتابه «نهاية الإقدام».
- ١٧- نهاية الإقدام في علم الكلام. مطبوع.
- ١٨- الملل والنحل، الكتاب الذي نعتمد في بحثنا هذا.

لقد اعتمد لإنجاز هذا العمل كتاب الملل والنحل بتحقيق أمير علي مهنا وعلي حسين فعورج^٣، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط ١٣١٥ هـ / ١٩٩٥. رأينا من المفيد أن نورد ترجمة الشهرستاني التي أوردها المحققان في المقدمة رغم طولها.

كتابه الملل والنحل : « فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل الأهواء والنحل، والوقوف على مصادرها ومواردها، واقتناص أوانسها وشواردها، أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ماتدين به المتدينون وانتحله المنتحلون، عبرة لمن استبصر، واستبصارا لمن اعتبر ».^٢

فالرجل في مقدمته المنهجية هذه لم يحدد موضوع كتابه ومنهجه إلا بعد أن بين سعة مصادره ومراجعته وتنوعها ومدى إلمامه بها، وعيا منه بموسوعيته في هذا الفن، فيمكن لنا حينئذ أن نتساءل عن مدى اهتمامه بعوامل نشأة الفرق الإسلامية وتسميتها وألقابها، تلك الفرق التي خصص لها الباب الأول من هذا الكتاب في فصوله الستة الأولى، كما لنا أن نتساءل عن مدى التزامه بالموضوعية التي اشترطها على نفسه في المقدمة الثانية من الكتاب بقوله : « وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده، وأعين حقه من باطله... »^٣ عند اهتمامه بالقضيتين المطروحتين في التساؤل الأول.

ويحسن هنا أن نوظئ لهذه الإجابة بالنظر في قضية الفرق كما جاءت في القرآن الكريم والحديث الشريف.

أ- القرآن الكريم وقضية الفرق

يتعرض الشهرستاني في كتاب الملل والنحل أثناء الحديث عن الفرق إلى عديد من الآيات الكريمة، مع العلم أن هذه النصوص هي منطلق جميع علماء الكلام، فلذلك يحسن أن نتأمل في ما جاء في القرآن الكريم عن الفرق.

٣ الملل: ١/١٧.

٤ ن.م: ١/٢٢.

يعتبر الشهرستاني في المقدمة الثالثة من كتاب الملل والنحل، جاءت بعنوان: « في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة وانشعابها »، أن أول شبهة في الخليقة ترجع إلى موقف إبليس اللعين من آدم عليه السلام^٥، ويحلل القضية تحليلًا موسعًا فيعتبر أن كل الفرق انطلقت في عديد من شبهها من طريقة إبليس في التكبر على آدم وفي الإعراض عن السجود له.

ولا نريد أن نقف عند هذا التفسير لقضية الفرق، وإنما هي إحدى وجهات نظر الشهرستاني ينبغي ألا نغفل عنها، وقد وردت قصة آدم عليه السلام مع إبليس اللعين في مواطن عديدة في القرآن الكريم^٦.

وإن لم يقف الشهرستاني صراحة عند الآيات القرآنية التي تعالج قضية الافتراق فإننا نلمس أثرها في عديد من المواطن من كتابه^٧ لذلك أحببنا أن نقف عند هذه الآيات لننتبين مدى تنديدها بمساوئ الافتراق وعرضها لطريقة العلاج عندما تبدو ملامح الافتراق في أفق حياة الأمة المسلمة.

والمأمل في الكتاب العزيز يلمس أن مادة ف. ر. ق. وردت فيه عدة مرّات، وفي صيغ متعددة^٨ إلا أن ما يهمنّا منها يمكن أن يتمثل فيما يلي:

١- النهي عن الاقتداء بالأمم السابقة الذين توزّعوا إلى فرق: يقول تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. (٣ آل عمران ١٠٥) ويقول تعالى أيضا: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ

٥ ن.م: ٢٣/١-٢٨

٦ ر. جول لابوام: تفصيل آيات القرآن الكريم. نقلها إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي. دار الكتاب العربي. بيروت ١٩٦٩. ص ٤٦٦-٤٦٨.

٧ مثال في تعيين قانون يبنى عليه تعداد الفرق الإسلامية ص ٢٠-٢١ المقدمة الثالثة: في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة. ص ٢٣-٢٨. المقدمة الرابعة: في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية ص ٢٨-٣٢.

٨ محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿ (٩٨ البينة ٤-٥) .

فالقرآن الكريم حينئذ ينهى المؤمنين عن الافتراق ويذكرهم بما وقع للآمم السابقة وخاصة من أهل الكتاب الذين جاءتهم البيّنات وتنزل عليهم الوحي، ومع ذلك تصدع صفّهم، واختلّت كلمتهم، واختلف شملهم، والله تعالى يتوعدهم بأشدّ العذاب.

٢- الرّسول محمّد عليه السّلام ليس من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا : قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٦ الأنعام ١٥٩) .

إنّ جلّ كتب التفسير تنطلق من هذه الآية لتبيّن أسباب افتراق المسلمين ولتذكرهم ببعدهم عن سيرة الرّسول عليه السّلام ذاك الذي وحّد الأمّة تحت لواء الإسلام، إذ أنّهم بافتراقهم يكونون بعيدين عن مسلك الرّسول عليه السّلام، ثمّ يتوعدهم القرآن بأنّ الله محاسبهم على هذا الافتراق أدقّ الحساب.

٣- القرآن يدعو إلى الاعتصام بحبل الله المتين : يقول تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٣ آل عمران ١٠٣) .

أثيرت العصبية القبلية والجنسية زمن الرسول عليه السلام وكادت تفرق شمل الصحابة رضوان الله عليهم فتزلت هذه الآية تذكر المسلمين بضرورة التمسك بحبل الله وهو القرآن الكريم، ونهت عن التفرقة مذكرة بنعمة الإسلام على هؤلاء المسلمين الذين صيرهم الإسلام أمة بعد أن كانوا أشتاتا متناثرين. ولا ينبغي أن نغفل هنا عن تأليف الرسول عليه السلام بين الأوس والخزرج، ثم عن مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، إلى أن اتحد صف المسلمين وصاروا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

٤- النهي عن اتباع السبل : يقول جل جلاله : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٦ الأنعام ١٥٢).

عن عبد الله بن مسعود (٣٦ / ٦٥٣) قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خطا ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيما » ، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك وعن شماله ثم قال : « وهذه السبل ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه » ثم قرأ هذه الآية^١.

٥- التنازع يورث الفضل : يقول تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٨ الأنفال ٤٦). وإن جاءت هذه الآية متحدثة عن أحوال الحرب فإنها تصلح أيضا لأحوال السلم، ذاك أن النزاع مهما كان نوعه يورث الفرقة، ولا ينتج عن التفرق إلا التصدع والوهن.

١٠ ن.م : ٨/ ١٩٤ - ٢٠٠. حديث «وهذا السبيل» : الدارمي : مقدمة ٢٣. أحمد ابن حنبل : ١، ٣٥، ٤٦٥.

٦- افتراق الناس إلى أحزاب ولا يفلح إلا حزب الله : يقول تعالى : ﴿ وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (٢٣ المؤمنون ٥٢-٥٣)، ويقول تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٥٨ المجادلة ١٩)، ويقول أيضا : ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥٨ المجادلة ٢٢)، واضح من هذه النصوص أن القرآن الكريم ينهى عن التحزب للشيطان وكل ما يتصل به من زيغ وبدع وضلال، ويدعو إلى الاتحاد والتحزب لله تعالى لمن أراد الفلاح في الدارين، وفي هذا دعوة صريحة إلى توحيد كلمة الأمة، وإلحاح على اجتناب كل أنواع التفرقة.

٧- حرص أهل الكتاب على إضلال المسلمين : يقول عز من قائل : ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٣ آل عمران ٦٩)، وإنا نعلم تاريخيا مصداق هذه الآية الكريمة، إذ من أكبر دسائس أهل الكتاب العمل على غرس التفرقة بين المسلمين، وكتب الفرق تلح على دور عبد الله بن سبأ (نحو ٤٠/٦٦٠) في إشاعة معتقدات ترمي إلى تكسير وحدة المسلمين.

٨- العلاج المقترح عند ظهور بذور الافتراق : يقول تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٤٩ الحجرات ٩-١٠).

إنَّ المتأمل في كتب التفسير وكتب التاريخ وكتب الفرق يتبين أنَّ المسلمين تنازعوا هذا النصَّ القرآني تنازعا كبيرا خاصة في معركة صفين (٦٥٧/٣٧)، وظلَّت كلُّ فئة تعتبر أنَّ الفئة الأخرى هي الباغية، ومن ذلكم التنازع الذي غلب فيه المسلمون على أمرهم لأسباب عديدة انبثقت بذور الافتراق بعد أن كانت هذه الأمة واحدة متماسكة متمسكة بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الحديث الشريف وقضية الافتراق :

يقول الشهرستاني بعد أن بيّن طرق من سبقوه في تقسيم أهل العالم ما يلي : «ويفترق كلُّ منهم فرقا. فأهل الأهواء ليست تنضبط مقالاتهم في عدد معلوم. وأهل الديانات قد انحسرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها، فافترقت المجوس على سبعين فرقة، واليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، والمسلمون على ثلاث وسبعين فرقة، والناجية أبدا من الفرق واحدة، إذ الحق من القضيتين المتقابلتين في واحدة، ولا يجوز أن يكون قضيتان متناقضتان متقابلتين على شرائع التّقابل إلا أن تقتسما الصدق والكذب، فيكون الحق في إحداهما دون الأخرى، ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين في أصول المعقولات بأنهما محققان صادقان.

وإذا كان الحق في كلِّ مسألة عقلية واحدا، فالحق في جميع المسائل يجب أن يكون مع فرقة واحدة، وإنّما عرفنا هذا بالسمع وعنه أخبر التنزيل في قوله عز وجل:

«وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» (٧ الأعراف ١٨١)، وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة، والباقون هلكى». قيل: «ومن الناجية؟» قال: «أهل السنة والجماعة». قيل: «وما السنة والجماعة؟» قال: «ما أنا عليه وأصحابي». وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة».

وقال عليه السلام: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»^{١١}.

فالشهرستاني حينئذ ينطلق من هذا الحديث عن افتراق الأمة ليقرر حقيقتين، أولاهما أن الحق لا يكون إلا مع فرقة واحدة في القضايا العقديّة، ثانيتهما أن الأمة الإسلامية افتقرت إلى ثلاث وسبعين فرقة وقد حرص على ضبطها وإحصائها في كتابه.

والملاحظ أنّه، وإن اتفقت جلّ كتب الفرق على الانطلاق من هذا الحديث باستثناء الأشعري في مقالاته، فإنّ لكتب الحديث والاستدراك والموضوعات مواقف منه نكتفي بذكر أهمّها.

أمّا مالك (١٧٩/٧٩٦) والبخاري (٢٥٦/٨٧٠) ومسلم (٢٦١/٨٧٥) والنسائي (٣٠٣/٩١٦) فلم يخرجوا هذا الحديث.

١١ الشهرستاني: الملل ١٩/٢٠. حديث الافتراق وقع تخريجه مباشرة في البحث اعتماداً على مقال عمر بن حمادي.

— حديث «لا تزال» جاء في معجم المفهرس بصيغة لا يزال: البخاري: اعتصام، ١، مناقب ٢٨، توحيد ٢٩. مسلم: إيمان ٢٤٧، إمارة، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧. أبو داود: جهاد ٤، فتن ١، الترمذي: فتن ٢٧٠، ٢٧١. ابن ماجه: مقدّمة ١، فتن ٩. إدارمي: جهاد ٣٨. أحمد بن حنبل: ٤، ١٠٤، ٥، ٣٥، ٢٦٩، ٢٧٨، ٢٧٩.

— حديث «لا تجتمع» جاء مؤكداً بأن في ابن ماجه: فتن ٨.

- بينما أبو داود (٢٧٧/٨٩١) والترمذي (٢٧٩/٨٩٣) وابن ماجه (٢٨٣/٨٩٧) فقد اتفقوا على إثباته.

- كما أن الحاكم النيسابوري (٤٠٥/١٠١٧) قد أثبتته في كتابه المستدرک على الصّحیحین.

- كما أن ابن الجوزي الحنبلي (٥٩٧/١٢٠١) قد أثبتته كما يلي : بعد أن روى الحديث رواية خاصة بين أن لا أصل لها وهي : « تفرق أمتي على سبعين أو إحدى وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا فرقة واحدة. قالوا : يا رسول الله : من هم ؟ قال : « الزنادقة والقدرية » ثم يضيف : « بلى ... قد رواه عن رسول الله علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص ... قالوا فيه : واحدة في الجنة وهي الجماعة » كتاب الموضوعات الكبرى ١/٢٧٦.

ونرى من المفيد هنا أن نذكر خمسا منها.

١- ابن ماجه... عن أبي هريرة : « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة و تفرق أمتي على ثلاث و سبعين فرقة ».

٢- أحمد بن حنبل... عن أنس بن مالك : « أن بني إسرائيل قد اختلفت على اثنتين و سبعين فرقة، وأنتم تفرقون مثلها، كلها في النار إلا فرقة ».

٣- ابن ماجه... عن عوف بن مالك : « اختلفت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، واختلفت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفرقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار. قيل يا رسول الله من هم ؟ قال : « الجماعة ».

٤- أحمد بن حنبل وأبو داود... عن معاوية بن أبي سفيان: «إنَّ أهل الكتابين اختلفوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإنَّ هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعني - أهل الأهواء - كلّها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وإنَّه سيخرج من أمّتي أقوام تجاري بهم تلك الأهواء كما يتجاري الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله».

٥- الترمذي... عن عبد الله بن عمرو: «سيأتي على أمّتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتّى من كان منهم من أتى أمة علانية لكان في أمّتي من يصنع ذلك، وإنَّ بني إسرائيل تفرّقت على اثنتين وسبعين ملة وتفرّقت أمّتي على ثلاث وسبعين ملة، كلّهم في النار إلا ملة واحدة، قال:» من هي يا رسول الله؟ «قال:» ما أنا عليه وأصحابي».

والخلاصة أن كتب الحديث لم تتفق على إخراج كلّ الروايات وأنَّ أحمد ابن حنبل قد استأثر بإخراج أكبر عدد من الروايات المذكورة. وهذه الروايات يمكن أن نصنّفها إلى ثلاث أصناف :

١- من الصّنف المحايد : لأنّها اكتفت بذكر الرّقم فقط.

٢- من الصّنف المستثني : لأنّها اكتفت باستثناء الفرقة النّاجية دون أن تحدّد هويّتها.

٣، ٤، ٥- الصّنف المنحاز: لأنّها تنصّ على هويّة الفرقة النّاجية.

والحقيقة أنّ عمر بن حمادي^{١٢} قد مَحَص هذه القضية أحسن تمحيص، وذلك هو ما وصل إليه في شأن مختلف الروايات، وليس لنا أن ننقل هذا العمل برمته، وإنّما نكتفي بضبط ما وصل إليه من نتائج وهي: « وتحليلنا للأغراض التي يرمي إليها هذا الحديث في روايته الأكمل أي الرواية المنحازة، نراه يسجّل لنا ثلاث نقاط رئيسية هي: كثرة الفرق الموجودة، كلّ هذه الفرق في النار إلا واحدة. «الفرقة الناجية» هي: «الجماعة». فهو إذن حديث يحارب الافتراق ويهدّد الفرق من ناحية، ويدعو إلى التمسك «بالجماعة» لأنّ ذلك هو سبيل النجاة من ناحية أخرى. فهو حديث يمجّد في الواقع أولئك الذين يطلقون على أنفسهم اسم «أهل السنة والجماعة» ويعكس لنا حالة صراع كبير كان قائما بين مختلف الفرق...

فتنح نلاحظ... أنّ كتب الردّ المعبّرة عن هذا الصّراع قد ازداد عددها منذ فجر القرن الثالث هجريّا/٩ ميلاديّا، وقد شمل ذلك المشرق والمغرب على السّواء، وقد كانت الفرق المتصارعة تستعمل أسلحة مختلفة من بينها الاستشهاد بالحديث لمعاوضة آرائها فازدهرت حركة الوضع وظهرت حركة نقد الحديث، لذلك يمكن القول إنّ هذا الحديث قد وضعته إحدى الفرق لمواجهة الفرق الأخرى.

أمّا عن هويّة هذه الفرقة، فإنّ أوّل الأسماء التي تتبادر إلى الذهن فرقة أهل السنة والجماعة، لما نجده، في بعض روايات هذا الحديث من تأكيد على التمسك بالجماعة...

ثمّ بعد التّساؤلات والتّحليل يقول: «لذلك، ونظرا إلى العوامل التي وقعت

١٢ عمر بن حمدي أستاذ بقسم التاريخ بكلية الآداب منوبة، جامعة تونس الأولى، معاصر.

الإشارة إليها، فإنّ الاحتمال الثاني أقرب إلى القبول، أي أنّ الرواية المنحازة هي التي ظهرت أولاً في خضم الصراع الذي كان قائماً بين « أهل السنّة والجماعة»، من ناحية، والفرق المعادية لها من ناحية أخرى. وأنّ الروايات الأخرى كانت محاولات تحطيمية للرواية المنحازة...

وأخيراً فإنّ هذا الحديث الذي هو وليد وضعيّة فكرية تمتاز بالصراع، أي بالحركة والنشاط، أتى في الحقيقة ليحارب الواقع الذي أفرزه. فهو أتى ليحارب التفرق، أي التنوع والخلق اللذين بدونهما لا يمكن التطوّر. لذلك كان هذا الحديث ينطوي على خطورة كبيرة في صورة انتصار أصحابه وهو بالفعل ما وقع بداية من القرن الخامس/ ١١، عقب ما سمّي بـ «الانتصار السنّي». فاشتدّت محاربة ما يسمّى بـ «البدع»، أي محاربة «التجديد»، واستقرّ نوع من الجمود الفكري الذي لا يمكن إنكاره بداية من القرن السادس/ ١٢، ويمكن القول إنّ هذا الحديث كان من جملة الأحاديث والأقوال التي ساهمت في انتشار تلك العقلية.

فهذا الحديث هام جداً. وحكمنا عليه بالوضع لا ينقص البتّة من قيمته التاريخية، لأنّه يمكن اعتباره من تلك الأحاديث التي ساهمت في نحت جانب من الجوانب العقلية للعالم الإسلامي. لذلك فهو يهمّ - إلى جانب علماء الحديث - كلّ المهتمّين بتاريخ العقليّات. كما أنّ هذا الحديث هامّ لما قد يلعبه من دور في عصرنا الحاضر إذا وقع استغلاله من طرف الذين يرون في «الجماعة»: عدم «الخروج عن الصّف»، وفي «الفرق الهالكة»: كلّ الاتجاهات التي تهدّد «الاستقرار» وتتعارض مع أفكارهم»^{١٣}.

١٣ عمر بن حمّادي: مقال حول حديث «افتراق الأمة إلى بضع وسبعين فرقة». الكراسات التونسية سنة ١٩٨١. عدد ١١٥-١١٦. ص ٢٨٧-٣٥٧. رأينا من المفيد أن نتوسّع في شأن الحديث عن الافتراق بالاعتماد على هذا المقال لأنّه في رأينا يستوفي الغرض المطلوب من هذا الحديث، ولذلك اكتفينا بمجرد الإحالة عليه، مع اقتباس المهمّ لبحثنا.

وبعد هذا نقول مهما تنوّعت المواقف من هذا الحديث وغيره فإنّ الأمة
افتترقت إلى فرق وكفى، ولا سبيل لها إلى النهوض من كبوتها إلا إذا تآلفت
وتعاونت.

وبعد هذه التّوطئة نأتي إلى العوامل السياسيّة والأصوليّة والثّقافيّة
والاجتماعيّة والماليّة لنشأة الفرق الإسلاميّة كما تستفاد من كتاب الملل والنحل
للشّهريّ.

المبحث الأول
عوامل نشأة الفرق الإسلامية

١- العوامل السياسية:

أ) قضية الإمامة :

يقول الشهرستاني : « وانقسمت الاختلافات بعده (الرّسول صلى الله عليه وسلّم) إلى قسمين أحدهما الاختلاف في الإمامة »^{١٤} . نلمس أن الشهرستاني على وعي تام بأهمية الاختلاف في الإمامة من حيث أثره في تفريق الأمة قولاً وعملاً، إذ تحوّل الصراع من الجدل إلى حدّ السيف، ونصّ الشهرستاني صريح في ذلك : « وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سلّ على الإمامة في كلّ زمان »^{١٥} . وهذه العوامل السياسية نتبع فيها مرحلتين.

١- حدث السّقيفة وتوجيه الفرق له فيما بعد :

يعتبر الشهرستاني ما حدث في السّقيفة الخلاف الخامس^{١٦} بعد وفاة الرّسول صلى الله عليه وسلّم، وقد روى وقائع هذا الحدث دون تدخّل كبير، إلّا أنّه اعتبره فلتة لا يمكن أن تتكرّر حيث قال : « إلّا أن بيعة أبي بكر (١٢/٦٣٥) كانت فلتة وقى الله المؤمنين شرّها، كما أنّه ذكر الذين امتنعوا عن البيعة بقوله : «سوى جماعة من بني هاشم، وأبي سفيان من بني أميّة، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (٤٠/١٦٦) كرم الله وجهه كان مشغولاً بما أمره النّبيّ صلى الله عليه وسلّم من تجهيزه ودفنه وملازمته قبره من غير منازعة ولا مدافعة »^{١٧} .

١٤ الشهرستاني : الملل. ٣٦/١.

١٥ ن.م. ٣١/١.

١٦ أمّا الخلافات الأربعة التي ذكرها الشهرستاني قبل هذا الخلاف فهي:
الخلاف الأوّل : تنازع الصحابة عندما طلب الرّسول عليه السّلام دواة وقرطاسا وهو يحتضر.
- الخلاف الثّاني : تجهيز جيش أسامة والاختلاف فيه.

- الخلاف الثّالث : في موته عليه السّلام.

- الخلاف الرّابع : في موضع دفنه عليه السّلام. ص ٣٠-٣١.

١٧ ن.م. ٣١/١.

وإن لم يتدخل الشَّهرستاني في هذا الحدث فإننا نعتبره حدثاً موضوعياً يستوجبه الواقع إثر وفاة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ونلمس من خلال ما دار من حوار أنّ المواقف لم تكن تحمل خلفيات مبنيّة، بل امتاز الحوار بالتلقائية والعفوية، وبرزت فيه اجتهادات الصّحابة الحاضرين آنذاك، إلّا أنّ هذه الاجتهادات استغلت فيما بعد، وضخّمت أكثر ممّا ينبغي، فكانت بذورا لعديد من الاتّجاهات كثيرا ما تحوّلت بالمواقف عن وجهتها الأولى، والمهمّ أن التّسمية بالأنصار والمهاجرين لم يكن لها أثر في تسمية الفرق فيما بعد، مع العلم أنّ الوضع استقرّ استقرارا تامّا زمن أبي بكر وعمر.

وقد تجلّى أثر السّقيفة خاصّة في واحد من وجوه تولية الإمام عند المنظرين للإمامة ألا وهو البيعة وهذه الوجوه هي:

- (١) البيعة لأبي بكر وهي ضرب من الشورى.
- (٢) ولاية العهد من أبي بكر لعمر مع الإلحاح على انتفاء الوراثة.
- (٣) الشورى بين أهل الحلّ والعقد كما أمر عمر (٢٣/٦٤٤) عند وفاته.

٢- تمخّض الافتراق عن الفتنة :

يذكر الشَّهرستاني بتداعي الأوضاع في النّصف الأخير من عهد عثمان (٢٣-٢٥/٧٤٣-٦٥٦) فيما اعتبره الخلاف التّاسع بعد وفاة الرّسول عليه السّلام، ويلجّ خاصّة على ما عابه النّاس على عثمان في شأن تقريب ذوي القربى رغم وجود من هو أكفأ منهم. كما يذكر في الخلاف العاشر بأنّ بيعة عليّ شرعيّة لكنّها

سرعان ما انبثق عنها ما سُمّي بمعركة الجمل (٦٥٧/٣٦) ثمّ ما عرف بحركة الزبيريين، لكنها لم تبق أثراً لفرقة لها أصولها^{١٨}.

ثمّ يقول: « الخلاف بينه وبين معاوية، وحرب صفّين (٦٥٧/٣٧)، ومخالفة الخوارج، وحمله على التّحكيم، ومغادرة عمرو بن العاص (٦٦٤/٤٣) أبا موسى الأشعري (٦٦٥/٤٤)، وبقاء الخلاف إلى وقت وفاته مشهور »^{١٩}.

واضح إذن أنّ معركة صفّين كانت القطرة التي أفاضت الكأس و اتّضح بعدها توزّع الأمّة إلى ثلاثة اتجاهات:

- جماعة عليّ (٦٥٦/٤٠-٦٦١).

- جماعة معاوية (٦٦١/٦٠-٦٨٠).

- جماعة لا مع هذا ولا مع ذاك، بايعت عبد الله بن وهب الرّاسبي (٦٥٨/٣٨)^{٢٠} عرفت فيما بعد بتسميات عديدة لقّبها الشّهريستاني بالخوارج.

ثمّ يقول الشّهريستاني: « وانقسمت الاختلافات بعده (علي) إلى قسمين: أحدهما الاختلاف في الإمامة... والاختلاف في الإمامة على وجهين:

أحدهما: القول بأنّ الإمامة تثبت بالاتّفاق والاختيار.

والثاني: القول بأنّ الإمامة تثبت بالنّص والتّعيين.

فمن قال إنّ الإمامة تثبت بالاتّفاق والاختيار:

١٨ ن.م: ٣٢/١.

١٩ ن.م: ٣٥/١.

٢٠ انظر ما يلي: ص: ٧٦.

قال بإمامة كل من اتفقت عليه الأمة أو جماعة معتبرة من الأمة.

- إمامًا مطلقًا.

- وإمامًا أن يكون قرشيًا على مذهب قوم.

- وبشرط أن يكون هاشميًا على مذهب قوم.

- إلى شرائط أخرى كما سيأتي.

ومن قال بالأول، قال بإمامة معاوية وأولاده من بعدهم بخلافة مروان (٦٨٥/٦٥) وأولاده.

والخوارج اجتمعوا في كل زمان على واحد منهم بشرط أن يبقى على مقتضى اعتقادهم، ويجري على سنن العدل في معاملاتهم، وإلا خذلوه وخلعوه، وربما قتلوه^{٢١}.

والملاحظ أن تحليل الشهرستاني يعكس واقع انقسام الأمة بعد استقرار الأوضاع بعد معركة صفين.

فالجماعة التي رأت أن الإمامة تثبت لكل من اتفقت عليه الأمة أو جماعة معتبرة من الأمة انشطرت إلى شطرين :

الشطرا الأول : يرى أن هذا الاختيار يكون مطلقا وهذا موقف من عرفوا بالمحكمة أو أهل حروراء أو أهل النهروان وهم الذين سمّيناهم قبل حين بجماعة عبد الله بن وهب الراسبي إذ اعتبر هؤلاء أن الإمامة شورى بين المسلمين على

شرط أن يكون الإمام عادلاً مهما كان جنسه فإن تخلى عن العدل يخلع وربما يقتل ومن هؤلاء بقيت الإباضية، وإن أطلق عليهم الناس لقب الخوارج فإنهم يتبرؤون منه.

الشطر الثاني : وهو الذي ساد البلاد والعباد، وهم الذين قيّدوا اتفاق الأمة بشرط آخر وهو القرشية، وقد مثل هذا الموقف جماعة معاوية أي الاتجاه الأموي في البداية ثم تحوّل الشرط إلى فرع بني مروان من بني أمية وقد تبنّى هذا الموقف بنو العباس الذي أضافوا الهاشمية إلى القرشية وقد استند هؤلاء إلى الحديث : « الأئمة في قريش »^{٢٢}.

والشهرستاني يسكت عن تحويل هذا التيار الأمويّ الخلافة إلى ملك عضوض وراثي حسب عبارة ابن خلدون (١٤٠٦/٨٠٨) في المقدمة.

وهذا التيار يسمّيه الشهرستاني بالصفاتية فيقول : « وكان بين المعتزلة وبين السلف في كلّ زمان اختلافات في الصفات، وكان السلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامي بل على قانون إقناعي ويسمّون الصفاتية : فمن يثبت صفات الباري تعالى معاني قائمة بذاته، ومن مشبه صفاته بصفات الخلق، وكلّهم يتعلّقون بظواهر الكتاب والسنة »^{٢٣}.

وهذا التيار هو نواة ما عرف فيما بعد بأهل السنة والجماعة، والسنة حسب هؤلاء هي سنة الرسول عليه الصلاة والسلام بينما تعتبر التيارات المخالفة، وخاصة منها التيار العلوي، أن المقصود بالسنة سنة لعن علي في الجمع كما يذكر

٢٢ حديث «الأئمة من قريش»: أحمد بن حنبل ٣، ١٢٩، ١٨٣، ٤، ٤٢١.

٢٣ الملل. ٤٤/١.

ذلك المهدي المرتضى (٩٢٢/٣٤٠) في كتابه المنية والأمل في شرح الملل والنحل ص ١٠٦.

أما الجماعة التي قالت إن الإمامة تثبت بالنص والتعيين فقد أطال الشهرستاني في ذكر اختلافهم ووصل به إلى ما لا يقل عن سبعة وعشرين موقفاً ويمثل هذا التيار جماعة عليّ وهم الذين عرفوا بالشيعة فيما بعد.

ونكتفي بذكر فرقتين من فرق الشيعة على سبيل المثال لنفهم موقفهم من الوصي.

الزيدية: «أتباع زيد بن عليّ (١٢٢/٧٤٠) بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم... وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل. فقال: كان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوّضت لأبي بكر الصديق لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها، من تسكين نائرة الفتنة، وتطبيب قلوب العامة»^{٢٤}.

ثمّ بين كيف أفضت الخلافة إلى عمر ولوم الناس لأبي بكر وجوابه «لو سألني ربّي لقلت: وليت عليهم خيرهم لهم». ثمّ يواصل الشهرستاني فيقول: «وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماماً والأفضل قائم فيرجع إليه في الأحكام، ويحكم بحكمه

٢٤ ن.م: ١٨٠/١. عن الزيدية: ر. 5-1194 EI2 tome 3. زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٧٩-١٢٢/٦٩٨-٧٤٠) كانت إقامته بالكوفة، وقرأ على وأصل بن عطاء واقتبس منه الاعتزال. قاتل الأمويين وانتهت الحرب بقتله في الكوفة. هو إمام الزيدية من الشيعة. يقولون بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل. للإمام زيد «مجموع في الفقه». ط. ر. الزركلي: الاعلام ٥٩/٣، ومحمد ابا زهرة: الإمام زيد حياته وعصره، أراؤه وفقهه. بيروت ١٣٧٨/١٩٥٨.

في القضايا «^{٢٥} . وبهذا يذكر بما كان من عمر رضي الله عنه من استشارة عليّ كرم الله وجهه في عديد من القضايا ليعمل باستشارته.

ثمّ يقول الشهرستاني : « ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه، وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشّخين رفضوه (زيد بن علي) حتّى أتى قدره عليه، فسمّيت رافضة »^{٢٦} .

وبهذا نتبيّن مدى مرونة الزيدية في قضية الإمامة ولماذا لقيت الرافضة رافضة وهو ردّ فعل على هذا الموقف المتسامح.

الإمامية : « هم القائلون بإمامة عليّ رضي الله عنه بعد النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، نصّاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين. قالوا : وما كان في الدّين والإسلام أمر أهمّ من تعيين الإمام، حتّى تكون مفارقتة (عليه السّلام) الدّنيا على فراغ قلب من أمر الأمّة، فإنّه إنّما بعث لرفع الخلاف، وتقرير الوفاق، فلا يحوز أن يفارق الأمّة ويتركهم هملاً (أي دون راع يرعاهم) يرى كلّ واحد منهم رأياً، ويسلك كلّ واحد منهم طريقاً لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعيّن شخصاً هو الرّجوع إليه، وينصّ على واحد هو الموثوق به والمعولّ عليه، وقد عيّن عليّاً رضي الله عنه في مواضع تعريضاً، وفي مواضع تصريحاً »^{٢٧} .

٢٥ ن.م : ١/١٨٠.

٢٦ ن.م : ١/١٨٠.

٢٧ ن.م : ١/١٨٩، ١٩٠.

- الإمامية : ضبطت مبادئهم مع جعفر الصّادق (١٤٨/٧٦٥) يقولون بعصمة الإمام، ويرون أنّ الإمامة تكون في ذرية الحسين. ويقولون بالتقية في حالة الخوف من السّلطة الظالمة. ر. El₂ tome 3. p 1195. article Imamat.

والأساس، بعد النظر في النصوص، أن الشيعة على اختلاف مواقفهم في شأن الوصي جيلاً بعد جيل يجمعون على أن الإمامة يجب أن تكون وراثية في الهاشمية وخاصة منهم آل البيت سواء أكانوا ذرية علي من فاطمة أم من غيرها. هذه ثلاثة تيارات تمخّضت عن اختلاف وجهات النظر في شأن الإمامة وهي أم القضايا السياسية، وقد تألفت حيناً وتناحرت أحياناً، وما يزال الصراع قائماً بينها كأن معركة صفين قد انتهت بالأمس القريب.

ثم إن الشهرستاني وإن لم يذكر موقفاً رابعاً أثناء هذا التقسيم فإنه عند تقسيم بعض الفرق داخلياً يشير إلى أن هناك من وقف موقفاً آخر رابعاً وإن لم يبلغ من الأهمية ما بلغته المواقف السابقة لكنه بما أنه وجد فلا بد من أن يذكر وهذا الموقف هو موقف القائلين بأن الأمة ليست بحاجة إلى إمام، وهي قادرة على أن تقوم بشؤونها بنفسها، وينسب هذا إلى النجّادات من المحكّمة وهم أصحاب نجدة ابن عامر (٦٨٨/٦٩)، يقول الشهرستاني في ذلك: «وأجمعت النجّادات على أن لا حاجة للناس إلى إمام قطّ. وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن هم رأوا أن ذلك لا يتمّ إلا بإمامة عليهم فأقاموه جاز»^{٢٨}.

كما ينسب ابن خلدون في المقدمة عند حديثه عن وجوب الإمامة مثل هذا

٢٨ ن.م: ١/١٤٣.

- نجدة بن عامر الحروري الحنفي (٣٦-٦٩/٦٥٦-٦٨٨): من بني حنيفة ابن بكر بن وائل. رأس الفرقة النجدية، ويعرف أصحابها بالنجّادات. من كبار أصحاب الثورات في صدر الإسلام. أقام نحو خمس سنين وعماله بالبحرين واليمامة وعمان ومجر وبعض أرض العرض. لم يتمكن عبد الله بن الزبير أن يقضي عليه. وقيل تمكن من قتله. له مقالات يوردها كتاب المقالات.
- الحروري نسبة إلى حروراء موضع على ميلين من الكوفة كان أول اجتماع الخوارج به، فنسبوا إليه. قال ابن تيمية: ممّا يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم، وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف نجدة الحروري. ر.الاعلام ٨/١٠.

الموقف إلى أحد المعتزلة يعرف بالأصم (٢٣٧/٨٥١) وهذا الموقف انتهى بانتهاء أصحابه^{٢٩}.

- ولا بأس من أن نذكر هنا جماعة الحياد وهم بعض الصحابة الذين اجتنبوا هذه الفتنة من أصلها ولم يقفوا مع أي تيار من هذه التيارات المتصارعة، وهذا الموقف أيضا انتهى بانتهاء أصحابه. فيقول الشهرستاني: «والذين اعتزلوا إلى جانب فلم يكونوا مع علي رضي الله عنه في حروبه ولا مع خصومه، وقالوا: «لا ندخل في غمار الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم: عبد الله بن عمر (٦٩٣/٧٢)، وسعد بن أبي وقاص (٦٧٥/٥٥)، ومحمد بن مسلمة الأنصاري (٦٦٧/٤٦)، وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي (٦٦٦/٤٥) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم»^{٣٠}.

بعد هذا يتضح أن النزاع حول الإمامة وما يتعلق به من تولد الافتراق يمكن أن يتخلص فيما يلي:

١- الإمامة وراثية في قريش: وهو موقف الصفاتية والمرجئة وبعض أهل العدل والتوحيد.

٢- الإمامة وراثية في آل البيت: الشيعة وجل أهل العدل والتوحيد.

٣- الإمامة شورى بين المسلمين: المحكمة.

٤- لا إمامة: النجديات من الخوارج والأصم من أهل العدل والتوحيد.

٥- الحياد: بعض الصحابة.

٢٩ ابن خلدون: المقدمة.
- أما الأصم فلم نعتزله على ترجمة.
٣٠ الملل: ١/١٦١.

ب) قضية تعيين الولاة

وإن بدت هذه القضية فرعية في العوامل السياسية لكنها كان لها بعض الشأن في إثارة الفتنة.

فبقدر ما تحاشى أبو بكر وعمر تعيين قرابتهما في مناصب الدولة الناشئة، إلى حد أن عمر امتنع عن تعيين ابنه ضمن مجلس الشورى، غلب عثمان على أمره - على أغلب الروايات - وقرب قرابته من بني أمية وفي ذلك يقول الشهرستاني : « غير أن أقاربه من بني أمية قد ركبوا نهَابَر (جمع نهْبُورَة وهي المهلكة) فركبته، وأخذوا عليه أحداثا كلها محالة عن بني أمية... وكلهم خذلوه ورفضوه حتى أتى قدره عليه، وقتل مظلوما في داره، وثارت الفتنة من الظلم الذي جرى عليه، ولم تسكن بعد »^{٣١}.

فالشهرستاني واع بأن قضية تعيين القراصة في مناصب الدولة كان لها ضلع في إثارة الفتنة التي انطلقت بما عرف بحادثة الدار (٦٥٦/٣٥)، وبين أنها لم تسكن بعد، إذ ما أن بويح الإمام علي حتى اتخذت المطالبة بدم عثمان منطلقا لجل ما حدث من شغب.

بقي هنا أن نذكر بأن الشهرستاني وإن لم يشر في الخلاف التاسع إلى دور عبد الله بن سبأ^{٣٢} اليهودي الأصل في تأليب أهل الأمصار على عثمان كما تذكر ذلك جل المصادر ملحة على أن هذا اليهودي أسلم من أجل الدس، وكان المحرك

٣١ ن.م. : ٣٤-٣٥.

٣٢ عبد الله بن سبأ (ت نحو ٦٦٠/٤٠). رأس الطائفة السبئية. وكانت تقول بالوهمية علي. أصله من اليمن، قيل كان يهوديا وأظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان فأخرجه أهلها، فأنصرف إلى مصر وجهر ببذعته. ر. الزركلي : الأعلام ٢٢٠/٤.

الأساسي للفتنة التي انتهت بمقتل عثمان. فإنه ذكره في الخلاف العاشر على رأس الذين غالوا في شأن الإمام علي واعتبره نواة لما سمّاه بغلاة الشيعة^{٣٣} (٢٦ مكرر).

والملاحظ في خاتمة المطاف عن العوامل السياسية أنها وإن كانت سببا في افتراق المسلمين بعد أن كانوا صفّا واحدا لا يمكن أن تفصل عن بقية العوامل لأنها كلّها ترجع إلى منبع واحد، وإنما جاء الفصل بينها منهجيا حتى تتضح النتائج وإلاّ فلا فصل بين الرّوحي والزّمني في الإسلام.

٢ - العوامل الأصوليّة ، العقدية ،

إنّ الشّهريستاني في المقدّمة الأولى يقسّم أهل العالم إلى أهل الدّيانات وأهل الأهواء فيقول : « وهم (أهل العالم) منقسمون بالقسمة الصّحيحة الأولى إلى أهل الدّيانات والملل وأهل الأهواء والنحل.

فأرباب الدّيانات مطلقا مثل المجوس، واليهود، والنّصارى، والمسلمين.

وأهل الأهواء والآراء مثل الفلاسفة، والدّهريّة، والصّابئة، وعبد الكواكب والأوثان، والبراهمة^{٣٤}.

ثمّ بيّن أنّ الإسلام خصّ بالفرقة النّاجية.

وقبل أن نغوص في مواقف الشّهريستاني نذكّر بما جاء في القرآن عن المحكم والمتشابه، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ

٣٣ الملل : ١/٣٢

٣٤ ن.م : ١/١٩.

الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ
الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا
بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْبَابِ ﴿٢﴾ (آل عمران ٧).

ومعلوم أن عملية إرجاع المتشابه إلى المحكم كانت مثار جدل كبير بين
المسلمين.

كما أن الشَّهرستاني يميّز بين الاختلاف في الأصول (أصول الدين) وبين
الاختلاف في الفروع (الفقه)، فإن كان النوع الثاني من الاختلاف ضرورة حياتية
وفيه رحمة للعالمين، فإن النوع الأول من الاختلاف كان مصدر شغب في الأمة لأن
الأصول لا يكون فيها الحق إلا من جانب واحد، وقد حرص الشَّهرستاني على أن
يستوفي عدد الفرق ثلاثا وسبعين فرقة كما ورد في الحديث : « ستفترق أمتي على
ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة، والباقون هلكى »، قيل : « ومن الناجية ؟ »
قال : « أهل السنّة والجماعة ؟ » قيل : « وما السنّة والجماعة ؟ » قال : « ما أنا عليه
اليوم وأصحابي »^{٢٥} مكرر.

وصاحب الملل يورد الحديث دون أن يثير حوله أي تساؤل، بل كان بالنسبة
إليه بمثابة التنظير الذي عمل على جانب التطبيق فيه، وقد مكّنته قدرته المنهجية
من أن يقيم العلاقة بوضوح بين الفرق والأصول على رباعيتين أساسيتين، وعن
رباعية الأصول انبثقت رباعية الفرق وما انشعب عنها من افتراقات داخلية حرص
الشَّهرستاني على التعريف بشأنها وبأهم مبادئها بصفة مختصرة في كامل الكتاب

وفاء للمنهج الذي التزمه في خطبة الكتاب. ولا يغفل الشَّهرستاني عن أن يعتبر ذلك الأصل محصوراً في أربعة « فإن الفرد الأوّل ثلاثة والزّوج الأوّل أربعة، وهي النّهاية وما عداها مركّب عنها»^{٣٦}.

والملاحظ أن الشَّهرستاني يعتبر أن الاختلاف بين المسلمين ينقسم إلى قسمين أحدهما الاختلاف في الإمامة كما بيّنا ذلك « والثاني الاختلاف في الأصول»^{٣٧}.

وعندما يأتي إلى الاختلافات في الأصول يقول : «وأما الاختلافات في الأصول فحدثت في آخر أيّام الصّحابة بدعة معبد الجهني...» (٦٩٩/٨٠)^{٣٨}.

وقد تعرّض الشَّهرستاني لهذه الاختلافات بصفة مجملة ثمّ تحوّل إلى التفصيل حسب مناهج ثلاثة متكاملة يوضّح بعضها البعض.

١- المنهج الأوّل : وخصّص له المقدّمة الثّانية وسماها : « في تعيين قانون يبني عليه تعديد الفرق الإسلامية»^{٣٩}.

٢- المنهج الثّاني : تتبّع فيه التطور التاريخي لعلم الكلام منذ نشأته ونشأة الفرق إلى عصره، مع ذكر أهمّ القضايا التي تولّدت عن بعضها البعض عبر الزّمن^{٤٠}.

٣٦ ن.م : ٤٨/١.

٣٧ ن.م : ٣٦/١.

٣٨ ن.م : ٤٠/١.

- معبد بن عبد الله بن عويمر الجهني البصري (٦٩٩/٨٠). أوّل من قال بالقدر في البصرة. سَمِعَ الحديث من ابن عبّاس وعمران بن حصين وغيرهما. انتقل من البصرة إلى المدينة فنشر فيها مذهبه وعنه أخذ غيلان الدمشقي. قيل قتله الحجاج صبرا. وقيل صلبه عبد الملك بن مروان بدمشق على القول في القدر ثم قتله. ر. الزركلي: الاعلام ٢٦٤/٧.

٣٩ ن.م : ٤٠/١.

٤٠ ن.م : ٢٠-٢٢.

٣- المنهج الثالث : وقد أقامه على ظاهرة المقابلات بين الفرق المتضادة، وخاصة منها الصفاتية والمعتزلة، انطلاقاً من القانون الذي أقرّه في المقدمة الثانية. فيقول : « الفريقان من المعتزلة والصفاتية متقابلان تقابل التضاد، وكذلك القدرية والجبرية، والمرجئة والوعيدية، والشيعية والخوارج، وهذا التضاد بين كلّ فريق وفريق كان حاصلًا في كلّ زمان، ولكلّ فرقة مقالة على حيالها، وكتب صنّفوها، ودولة عاونتهم، وصولاً طاوعتهم »^{٤١}.

واضح أنّ أسس هذه المناهج الثلاثة تتطافر لتبيّن ما يوليه الشّهرستاني من قيمة للعامل الأصولي في نشأة الفرق، وها هو يصرّح بذلك في المقدمة الثانية التي ذكرنا عنوانها قبل حين : « إعلم أنّ لأصحاب المقالات طرقاً في تعديد الفرق الإسلامية، لا على قانون مستند إلى أصل ونصّ، ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود. فما وجدت مصنّفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق...

وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط، إلّا أنّهم استرسلوا في إيراد مذاهب الأمة كيف اتّفق، وعلى الوجه الذي وجد، لا على قانون مستقرّ، وأصل مستمرّ، فاجتهدت على ما تيسّر من التقدير، وتقدر من التيسير حتّى حصرتها في أربع قواعد، هي الأصول الكبار.

القاعدة الأولى : الصفات والتوحيد فيها... وفيها الخلاف بين الأشعرية، والكرامية، والمجسّمة، والمعتزلة.

القاعدة الثانية : القدر والعدل فيه... وفيها الخلاف بين القدرية والنّجارية، والجبرية، والأشعرية والكرامية.

القاعدة الثالثة : الوعد والوعيد والأسماء والأحكام... وفيها الخلاف بين المرجئة، والوعيدية، والمعتزلة، والأشعرية والكرامية.

القاعدة الرابعة : السمع والعقل، والرسالة، والإمامة... والخلاف فيها بين الشيعة، والخوارج والمعتزلة، والكرامية والأشعرية.

... فإذا تعيَّنت المسائل التي هي قواعد الخلاف، تبينَّت أقسام الفرق الإسلامية، وانحصرت كبارها في أربع بعد أن تدخل بعضها في بعض: القدرية، الصفاتية، الخوارج، الشيعة.

ثم يتركَّب بعضها مع بعض، ويتشعَّب عن كلِّ فرقة أصناف، فتصل إلى ثلاثة وسبعين فرقة...

وترتيب هذا المختصر على الطريقة الأخيرة (وضع الرجال وأصحاب المقالات أصولاً، ثمَّ إيراد مذاهبهم في مسألة مسألة) لأنِّي وجدتُها أضبط للأقسام وأليق بباب الحساب^{٤٢}.

وخلاصة القول عند الشهرستاني إنَّ القواعد الأصولية أربع وقد انبثقت منها أربع فرق كبار، ولكلِّ منها نظرية متكاملة تربط بين مفهومها للقواعد رباطاً وثيقاً، إذ مثلاً لا يقبل لمن يعتبر أنَّه لا تضرُّ مع الإيمان معصية أن يرى خلود مرتكب الكبيرة في النَّار، والعكس بالعكس، فمن يربط العمل بالإيمان يصعب أن يتنازل عن فكرة الخلود، والقضية التي أثارَت البلاء بين الفرق تتمثَّل في أن كلَّ فرقة تحاول أن تحكم على الفرق الأخرى من خلال منظوماتها الخاصة اعتماداً على ما تتبنَّاه من

٤٢ ن.م: ٢٠/١-٢٢.

مفاهيم اصطلاحية، وهذا ما وقع فيه الشهرستاني نفسه فيما سَمَّيناه المنهج الثاني والثالث خاصة حيث اعتبر المدرسة الأشعرية قاعدة تقاس عليها بقية الفرق رغم أنه ذكر في المقدمات أنه سترك الحكم للقارئ: « وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده، وأعين حقه من باطله، وإن كان لا يخفي على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل، وبالله التوفيق »^{٤٣}.

ومثل هذه المواقف وما جاء قبلها في كتب الفرق والمقالات وجّهت الفكر الإسلامي توجيهاً معيناً، زاد في التنافر والتناثر بين الفرق مع ما عرفه بعض منها من مدد من السلطة الحاكمة، والشهرستاني لم يغفل عن ذلك كما أوردنا من قبل: « ولكل فرقة... دولة عاونتهم، وصولة طاوعتهم »^{٤٤} ونكتفي بالتذكير بمحنة خلق القرآن الكريم بتيارها حيث نكل المأمون (٨٢٣/٢١٨) بكل من يقول بالقدم، ثم ردّ المتوكل (٨٤٧/٢٤٧) الثأر فكال الصّاع صاعين لكل من يقول بالخلق.

وبهذا نتبين أنّ القواعد الأصولية التي كانت سبباً لانبثاق كبار الفرق، وما انبثق عنها تشمل الإلهيات (الصفات والتوحيد فيها)، والإنسانيات (القدر والعدل، والوعد والوعيد والأسماء والأحكام)، والرساليات (السمع والعقل والرسالة)، وتلك هي أهمّ مواضيع علم الكلام وأصول الدين التي تكوّنت حولها المقالات التي كان الخلاف فيها منطلقاً لانبعاث الفرق الإسلامية.

واضح من خلال هذا العرض ما يوليه الشهرستاني من أهمية للعامل

٤٣ ن.م: ١/٢٢.

٤٤ ن.م: ١/٥٦.

الأصولي إلى جانب العامل السياسي لنشأة الفرق الإسلامية، فأحدهما بمثابة اللُحمة والآخر بمثابة السدى، فماذا عن بقية العوامل ؟

٣ - العوامل الثقافية

يمكن أن تستفاد هذه العوامل من كتاب الملل خاصة من المقدمة الثالثة :
« في بيان أول شبهة وقعت في الخلقية، ومن مصدرها في الأول، ومن مظهرها في الآخر »^{٤٥}.

ومن موقف الشَّهرستاني من الذين يستبدون بالرأي ويخالفون النص.
يقول : « إعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة : شبهة إبليس لعنه الله، مصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص... » وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات، وسارت في الخليقة، وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلالة، وتلك الشبه مسطورة في شرح الأناجيل... ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرات بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه^{٤٦} . «... وكذلك لو تعقبنا أحوال المتقدمين منهم ووجدناها مطابقة لأقوال المتأخرين^{٤٧} مكرر. » ثم بين كيف استتقت الفرق الإسلامية من الأمم السابقة بعض آرائها انطلاقاً من شبه إبليس اللعين ومن ذلك يقول : « وشبه النبي صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الأمة بأمة ضالة من هذه الأمم السالفة فقال : « القدرية مجوس هذه الأمة ». وقال : « المشبهة يهود هذه الأمة والرافضة نصارها ». وقال عليه الصلاة

٤٥ ن.م : ٢٨/٢٣/١.

٤٦ ن.م : ٢٣/١.

٤٧ مكرر. ن.م : ٢٦/١.

والسلام جملة : « لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذو القذة بالقذة (بضم القاف: ريش السهم) ، والنعل بالنعل، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»^{٤٨}. ويقول أيضا : «ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت أيام المأمون، فخلطت، مناهجها بمناهج علم الكلام، وأفردتها فنا من فنون العلم، وسمتها باسم الكلام، إِمَّا لَأَنَّ أَظْهَرَ مَسْأَلَةٍ تَكَلَّمُوا فِيهَا وَتَقَاتَلُوا عَلَيْهَا هِيَ مَسْأَلَةُ الْكَلَامِ، فَسَمَّى النَّوعَ بِاسْمِهَا، وَإِمَّا لِمُقَابَلَاتِهِمُ الْفَلَّاسِفَةَ فِي تَسْمِيَتِهِمْ فَنَّا مِنْ فُنُونِ عِلْمِهِمْ بِالْمَنْطِقِ، وَالْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ مُتَرَادِفَانِ»^{٤٩}.

ثم يحلل مؤثرات الفكر الفلسفي خاصة في الفكر الاعتزالي على مختلف مراحل - ص ٣٤-٤١ إلى أن يقول: « وأما رونق علم الكلام فابتدأه من الخلفاء العباسية هارون (١٩٣/٨٠٩)، والمأمون (٢١٨/٨٣٣)، والمعتصم (٢٢٧/٨٤١)، والواثق (٢٣٢/٨٤٧)، والمتوكل (٢٤٧/٨٦١)، وانتهأه من الصاحب بن عباد (٢٨٥/٩٩٦) وجماعة من الديالمة»^{٥٠}.

دون أن يغفل عن تأثير الفكر الفارسي، والفكر الهندي، مع العلم أن كثيرا

٤٨ ن.م: ٢٧/١-٢٨. « القدرة مجوس هذه الأمة ». ورد هذا الحديث في الربيع بن حبيب : الجامع الصحيح ١٠/٣ عدد ٧٩٨. بنص: « القدرة مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودهم، وإن ماتوا فلا تصلوا عليهم ». رواه أبو داود في سننه عن حذيفة ولفظه: « لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر إلخ... ومثل حديث المسند في سنن أبي داود عن أبي عمر مع لفظ وإن مرضوا فلا تشهدوهم، وذلك من باب القدر من السنن. وأنكر ابن حزم صحة هذا الحديث لطريق الإسناد لأن في سننه عن أبي داود جعفر بن الحارث وهو مطعون فيه. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات. (عن المقدمة التبصير في الدين وهي لزاهد الكوثري: ٤-٥) اخذ عن تعليق عدد ٩: عمار الطالبي: الموجز ٦٢/٢.

- وجاء عند ابن ماجة مقدمة: ١٠، ٢٥ بنص « إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله ». كما جاء بنص « ومجوس هذه الأمة، أمّتي =

= الذين يقولون لا قدر » عند الدارمي: سنة ١٦. عند ابن حنبل: ٢، ١٥، ٥، ٤٠٧. وجاء الحديث حسب المعجم المفهرس بنص « إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله » عند ابن ماجة: مقدمة ١٠، ٢٥. وجاء بنص « ومجوس هذه الأمة، أمّتي الذين يقولون لا قدر » عند الدارمي: سنة ١٦. ابن حنبل: ٢، ١٥، ٥، ٤٠٧.

- « المشبهة » : لم يرد في المعجم المفهرس.

- حديث « لتسلكن » جاء عند ابن حنبل: ٤، ١٢٥. والضّب: حيوان من الزحافات.

٤٩ ن.م: ١/٤١.

٥٠ ن.م: ١/٤٣.

من علماء الكلام يرجعون إلى هذه الأوساط، والشهرستاني نفسه من بينهم.

والمأمل في مقالات الفرق الإسلامية في الإلهيات والإنسانيات والرساليات يلمس بوضوح تفاعلها مع هذه الثقافات الدخيلة إزاء التعايش مع أصلي الشريعة، القرآن الكريم والسنة الشريفة، والواقع الإسلامي، وتمثل هذه الثقافات في ما يلي :

(أ) اللاهوت اليهودي والمسيحي :

وهذا ليس بغريب لأن القرآن والسنة مفعمان بالإشارة إلى هاتين الرسالتين السابقتين دون الغفلة عن بقية الرسالات والنبوات السابقة، وقد كان لها هي الأخرى أثرها في علم الكلام، ومن أمثلة ذلك اليهود وقضية التجسيم، والنصارى وقضية التآليه، وقصة آدم وإبليس والحاح الشهرستاني على أن جميع بذور الافتراق واردة فيها لأن منطلقها استبداده بالرأي ومعارضته للنص، ولا يجوز أن تعدو شبهات فرق الزيغ والكفر والضلال هذه الشبهات (شبهات إبليس السبع) وإن اختلفت العبارات، وتباينت الطرق، فإنها بالنسبة إلى أنواع الضلالات كالبذور، وترجع جملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق، وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النص^{٥١}.

(ب) الفلسفة اليونانية :

وهذه الفلسفة لها مفهومها الكامل للكون والخلق مع اعتماد كلي على العقل وكفر بالوحي، (لم تذكر هذه الفلسفة مسألة النبوة) ويتجلى هذا في تقديم المعتزلة للعقل على النقل واعتباره حجة الله على الخلق وما نتج عن ذلك من ردود الفرق الأخرى بأن حجة الله على الناس الرسل.

(ج) الفكر الفارسي الغنوصي :

وهو يعتمد اعتمادا كبيرا على الباطن على حساب الظاهر، مع القول بالرجعة والمهدي المنتظر وما إلى ذلك، ويتجلى هذا في مواقف الشيعة الخاصة من الإمامة وما نتج عنها من ردود فعل لدى الفرق الأخرى.

(د) الفكر الهندي :

وقد اشتهر بالزهد والتصوّف والقول بالتناسخ، ونلمس هذا التأثير لدى الصفاتية وجنوحهم إلى التصوّف إلى حدّ المغالاة فيه، ولدى الشيعة ومدى استغلالهم لقضية التناسخ والتوسع فيها، وما نتج عن ذلك من ردود فعل.

واضح إذن أن للعوامل الثقافية دورا فعّالا في الاختلاف في وجهات النظر في فهم التشابه وإرجاعه إلى المحكم من كتاب الله العزيز، فمن واقف عند النصوص، ومن مكّنف بالظاهر، ومن داع إلى إعمال العقل بالتأويل دون الخروج عن قواعد الشرع وعن قواعد اللغة، ومن معتبر من المواقف التي انبثقت منها نظم فكرية متكاملة تبنتها فرق تألفت فيما بينها حيناً، وتناظرت أخرى، وتقاتلت في أغلب الأحوال، وكلّ تعتبر أنّها الفرقة الناجية وأن الفرق الأخرى هلكى.

٤ - العوامل الاجتماعية

لم يول الشّهرستاني هذا العامل نفس الأهمية التي أولاها للعوامل السابقة وإنّما أورده عرضاً، ويمكن أن يستنتج ضمناً خاصّة من المقدّمة الرابعة حيث بيّن المراحل التي تدرجت بالأمة نحو الاختلاف، من زمن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إلى ما عرف بالفتنة الكبرى، وحصر الشّهرستاني هذه المراحل في عشر : ومن أراد

التوسّع في القضية فليطالع الكتب التي ألّفت في : الخلافة والملك وقد حلّت القضية غالباً من وجهة سياسيّة، وكتاب إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي الجزء الأول. وقد حلّ القضية تحليلاً تاريخياً.

والملاحظ بجلاء أن تركيبة المجتمع الإسلامي قد تعقّدت شيئاً فشيئاً، فبعد أن كان العرب منعزلين عن بقية الناس وُحِدَ الإسلام بين كلّ من اعتنقه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٤٩ الحجرات ١٣).

ولقد بيّن الرسول عليه السّلام ما وراء العصبية من شرّ على المجتمع فقال: «دعوها إنها منتنة»^{٥٢}. وفعلاً تألّف المسلمون في ظل الرّسالة لا فرق بين عربي وعجميّ إلّا بالتّقوى، وكذا كان الأمر زمن أبي بكر وعمر وستّ سنوات من خلافة عثمان، إلّا أن اتساع الفتوحات وتفرّق الصّحابة واختلاط الأجناس ممّن كانوا حديثي عهد بالإسلام، ومن المندسّين في المجتمع الإسلامي ليفسدوا على المسلمين أمرهم عندما عجزوا عن التصدّي لفتوحاتهم أدّى إلى تصدّع بناء هذا المجتمع.

ولقد ألح الشّهريستاني في الخلاف التّاسع على ما كان من تأثير في افتراق المسلمين نتيجة ما حدث من تقوية للعصبية الأموية في المرحلة الأخيرة من خلافة عثمان فقال : «وانتظم الأمر واستمرت الدّعوة في زمانه... غير أنّ أقاربه من بني أمية قد ركبوا نهَابِرَ (جمع نَهْبُورَة وهي المهلكة) فركبته، وجاروا فجير عليه، ووقعت في زمانه اختلافات كثيرة وأخذوا عليه أحداثاً كلّها محالة على بني أمية»^{٥٣}.

٥٢ «دعوها إنها منتنة» : لم يرد في المعجم المفهرس.

٥٣ انظر ما سبق وما يلي. ملل : ٣٤/١.

والتأمل في الخلاف العاشر، وهو يلخص انطلاق الفتنة الكبرى وتأججها،
يتبين أن لتداخل الأجناس دورا فعّالا في اشتعال تلكم الأحداث، فالصّراع كان
واضحا بين عرب الشّام وعرب العراق ومن انضمّ إلى الطّرفين من الموالي :
فالعلوية عربية هاشمية ثمّ أزرها الموالي من الفرس.

والأموية (المرجئة) : عصبية عربية أموية، وما أن رجحت كفتهم بالمكر
والدّهاء حتّى اضطهدوا بقية الأجناس في خراسان وإفريقية.
انفصال المحكّمة وجلّهم من عرب تميم، وسرعان ما انضمّ إليهم عديد
من الموالي بالبصرة.

وبهذا نتبين أن صراع العصبيات كان مغذّيا للافتراق، وانقسم المجتمع
إلى ثلاث تيّارات كبرى :

تيّار أمويّ تغذّيه العصبية العربيّة، دان بالإرجاء والجبريّة، وهم نواة
الصّفاتيّة أو ما عرف بأهل السنّة ثمّ الأشعرية والماتريدية.

تيّار علويّ أرومته عربيّة من آل البيت، وجد في العنصر الفارسي أحسن
مناصر، مع إدخال الفكر الباطني المتأصل عند العجم، الأمر الذي أدّى إلى ما
ينسب إلى عديد من الفرق من الغلو في شأن الإمام عليّ، وانصهر معهم تيّار أهل
العدل والتّوحيد عربا وموالي.

تيّار المحكّمة منطلقه الّا فرق في الإمامة بين عربيّ وعجميّ إذا استويا في
التّقوى والصّلاح، عصبية عربية انضمت إليها العناصر المضطهدة، وبرز نجم

هذا التيار خاصّة في المغرب مع البربر الذين أذاقهم ولاية بني أميّة من العذاب أصنافاً.

- أمّا عن الصّراع بين الخاصّة والعامّة (الطبقات) فقد استطاع البلاط الأمويّ أن يغلب التيار العربي وما انبثق عنه من فرق.

كما أنّ العناصر الأخرى قد بذلت كلّ جهدها للإطاحة بالدولة الأمويّة ومن ساندتها، وقد كانت ضربات العلويين والمحكّمة من أكبر العوامل لإنهاء الحكم الأمويّ ليخلفه التيار الهاشميّ العباسيّ، ونحن نعلم أنّه قام على العصبية الفارسيّة مع أبي مسلم الخراساني (٧٥٥/١٣٧).

والملاحظ كما أشرنا آنفاً أن للتركيبية الاجتماعية المتداخلة دوراً فعّالاً في إذكاء روح الافتراق إلّا أنّ الشّهريستاني لم يول هذا العامل من الأهميّة ما يستحقّ، والحقيقة أن هذا دور المؤرّخ خاصّة، واستقصاء الأخبار في كتب التّاريخ يمكن من زيادة التّوسع في التّعرف على هذا العامل.

هـ - العوامل الماليّة

لم تكن عقليّة أهل القرن السادس هجري/١٢م تضع هذه العوامل في المقدّمة كما تعتبرها بعض المدارس المادّيّة الحديثة والمعاصرة، لكن مع ذلك لا يخلو كتاب الملل والنحل من بعض الإشارات التي تبين ما لوفرة الأموال من تأثير في التّحوّل الفكري للأمة.

يذكر الشّهريستاني في المقدّمة الرابعة، الخلاف السّادس: في أمر فدك^{٥٤}

^{٥٤} فدك: « قرية في الحجاز بينها وبين المدينة يومان كانت لليهود، أفاءها الله على رسول الله صلى الله عليه

والتّوارث عن النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، ودعوى فاطمة (٧٣٢/١١) عليها السّلام وراثّة تارة، وتمليكا أخرى حتّى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة »^{٥٥}.

كان يمكن أن تكون هذه القضية المالية مثارا للنّزاع ومنطلقا للافتراق لولا أن النّص كان قطيعا، إذ دفع فاطمة إلى الامتثال، وفصل الأمر.

ثمّ يذكر الشّهريستاني أنّ الأموال كانت سببا لإثارة الخلاف السّابع ضمن الشّبه التي وقعت في الملة الإسلامية : « في قتال مانعي الزّكاة، فقال القوم : لا نقاتلهم قتال الكفرة. وقال قوم بل نقاتلهم حتّى قال أبو بكر رضي الله عنه : لو منعوني عقالا ممّا أعطوا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لقاتلتهم عليه، ومضى بنفسه إلى قتالهم، ووافقته بعد ذلك الصّحابة بأسرهم^{٥٦} ».

وإنّنا نعلم ما أحدثته حروب الردّة من تصدّع في المجتمع الإسلامي الناشئ لولا موقف أبي بكر الحازم الذي ضرب المرتدّين بدون هوادة، ونصيب منهم كانت ردّتهم من أجل قضية ماليّة هي ركن من أركان الإسلام، وقد استطاع عمر أن ينقص من تلك الحدة في مطلع خلافته « برّد السّبايا والأموال إلى أصحابها، وإطلاق المحبوسين^{٥٧} »، وبذلك انتهى أثر ذلكم التصدّع الكبير الأوّل، ولم يترك أثرا في افتراق المسلمين.

وسلم في سنة ٢٣٩/٧ صلحا فكان ينفق منها على نفسه وعلى بعض المحتاجين من بني هاشم «. ياقوت الحموي معجم البلدان دار صادر. ٢٣٨/٤.

٥٥ الملل. ٣٢/١-٣٣.

٥٦ حديث « نحن معاشر الأنبياء » : البخاري : اعتصام ٥، خمس ١، نفقات ٣، فضائل الصحابة ١٢، فرائض ٣. مسلم : جهاد ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٦. النّسائي : فيء. الدارمي : كلام ٢٧. أحمد بن حنبل : ١، ٦.

٥٦ ملل: ٣٢/١

٥٧ ن.م: ٣٢/١.

ولم يغفل الشَّهرستاني في الخلاف الثامن عن ملاحظة تدفق الأموال على المسلمين ممَّا عرفوه من فتوحات زمن عمر ابن الخطاب : « وفتح الله على المسلمين، وكثرت السَّبابا والغنائم»^{٥٨} ، وكتب التَّاريخ تذكر موقف عمر ممَّا تجمَّع من هذه الأموال حيث بكى معتبرا مستحضرا كيف أن الرِّسول عليه السَّلام كان يخشى على هذه الأمَّة من أن تفتن بكثرة الأموال فتنسى ذكر الله تعالى، وفعلا استطاع عمر أن يمتلك زمام الأمور بما أُوتِيَ من هبة : « وكانوا كلَّهم يصدرون عن رأي عمر رضي الله عنه، وانتشرت الدَّعوة، وظهرت الكلمة، ودانت العرب، ولانت العجم»^{٥٩} .

ثمَّ إنَّ الوضع تحوَّل بعد خلافته بسنوات قلائل.

وهذا ما ضبطه صاحب المال في الخلاف التَّاسع حيث ألحَّ على ما كان لكثرة الأموال من فتنة إزاء ما ذكرناه من قبل من تغليب العصبية الأموية على غيرها فما هو يقول: « وكثرت الفتوح، وامتلاَّ بيت المال، وعاشر عثمان الخلق على أحسن خلق، وعاملهم بأبسط يد، غير أنَّ أقاربه من بني أمية قد ركبوا نهاجر فركبته، وجاروا فجير عليه، ووقعت في زمانه اختلافات كثيرة، وأخذوا عليه أحداثا كلَّها محالة على بني أمية... منها تسليمه خمس غنائم إفريقية له (مروان بن الحكم بعد أنَّ زوجه ابنته) وقد بلغت مائتي ألف دينار»^{٦٠} .

والمُتأمل في كتب التَّاريخ إزاء ما ذكره الشَّهرستاني يتبيَّن أنَّ من أهمِّ المآخذ التي كانت سببا في حادثة الدَّار ومقتل عثمان ما لوحظ على عمَّال عثمان من حيف في شأن ما تجمَّع لديهم من أموال.

٥٨ ن.م : ٣٤/١ .

٥٩ ن.م : ٣٤/١ .

٦٠ ن.م : ٣٤/١ تكرار النَّص فرضته المنهجية.

وإن اكتفى الشَّهرستاني بمجرد الملاحظة للعامل المالي فإننا يمكن أن نستنتج أن توفر مثل هذه المقادير الطائلة من الأموال ورث ثراء فاحشاً لدى طائفة من الناس على حساب جماعة أخرى، وهذا قد عمل على إذكاء روح الافتراق - مع انصهاره مع العوامل الأخرى السياسية والأصولية والثقافية والاجتماعية - مع العلم أن المجموعات التي لم تتل نصيبها من هذه الأموال بل غنمت أموالها في كثير من الأحوال انتظمت تحت لواء من دعاها إلى ردّ المظالم - على أساس عقدي - وهذا ما حدث في ما عرف بحادثة الدار، وما حدث بصفة عملية جلية بالنسبة إلى مؤازرة العنصر الفارسي للعلويين والعباسيين، وإلى مؤازرة البربر للمحكمة صفرية وإباضية ضدّ الأمويين ثمّ العباسيين.

وخلاصة القول إنه يستحيل الفصل بين هذه العوامل في الواقع لأنها لا تكون إلا متداخلة متشابكة، لكننا حاولنا أن نفصل بينها في هذا البحث فصلاً منهجياً، وقد يسّر لنا هذا الفصل وضوح الرؤية انطلاقاً من كتاب الملل، وقد اتضح بصفة جلية أن الشَّهرستاني قد أولى اهتماماً أساسياً للعامل السياسي والعامل الأصولي لكنّه مع ذلك لم يغفل عن العوامل الثقافية والاجتماعية والمالية. وبهذا يعتبر كتاب الملل والنحل وثيقة مهمة للتأريخ لنشأة الفرق الإسلامية وتحديد عواملها.

فماذا عن تسمية هذه الفرق وألقابها ؟

المبحث الثاني
قضية تسميات الفرق وألقابها

تمهيد

إذا قلنا قضية معنى ذلك أن هناك خصومة، فهل هي تسميات أم ألقاب ؟ وهل يمكن أن نضع حدودا فاصلة بين هذين الطرفين المتناقضين ؟
أما عن علاقة التسمية بالنشأة، فإن الواقع يثبت أن النشأة متقدمة على التسمية ذلك أن أئمة الفرق لا يمكن أن يتضح تنظيرهم إلا بعد أن تبرز الفرق للوجود بعامل من العوامل أو بالعوامل متشابكة.

واعتمادا على القواعد الأصولية الأربع يعتبر الشَّهرستاني أن كبار الفرق أربع: القدرية، الصَّفاتيَّة، الخوارج والشَّيعية. فنفهم من هذا النص أنها تسميات، لكن المؤلف لم يغفل عن ذكر الألقاب فمن ذلك يقول عن المعتزلة: «ويسمَّون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية»^{٦١}. معنى ذلك أننا لا نفتعل هذه القضية وإنما هي واردة عند الشَّهرستاني وإن لم تكن في منتهى الوضوح. كما نذكر بأن الأئمة الإسلامية قد اختلفت بعد معركة صفين سنة (٦٥٧/٢٧) إلى ثلاثة اتجاهات: جماعة مع علي بن أبي طالب. وجماعة مع معاوية. وجماعة لا مع هذا ولا مع ذاك عرفت بلا حكم إلا الله وتقديما عبد الله بن وهب الرَّاسبي^{٦٢} للإمامة. فما الذي

٦١ ن.م: ٥٦/١.

٦٢ عبد الله بن وهب الرَّاسبي (٩ صفر ٢٨/١٧ جوان ٦٥٨): هو عبد الله بن وهب بن راسب بن يدعان بن مالك بن نصير من الازد. وهي قبيلة نزلت البصرة. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وشارك في فتوح العراق بقيادة سعد بن أبي وقاص (٥٥/٦٧٤). كان من انصار علي في حروبه، ثم انكر التحكيم. بايعته المحكمة عندما ثبتت خدعة الحكمين في (٢٠ شعبان ٣٧/٣١ جانفي ٦٥٨). فطلب منهم علي الرجوع للمناصرة إلا أنهم استتابوه وطلبوا منه الدخول في ما دخل فيه المسلمون.

- وجاء في رسالة المحكمة إلى علي بن أبي طالب: «... إن كنت صادقاً فادخل في ما دخل فيه المسلمون من طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة إمام المسلمين عبد الله بن وهب الرَّاسبي، فقد بايعناه بعد خلعتنا إياك لاستحقاقك منا أن نخلك ولا وسع إلا ذلك والسلام». سرحان الزكوي: كشف الغمة، ورقة ٢٨١.

- وقتله في معركة النهروان هاني بن خطاب الأرحبي وزياد بن حفصة في ٩ صفر ٢٨/١٧ جوان ٦٥٨. ويعتبره الإباضية من أنتمهم. ر. الدرجيني: الطبقات ٢/٢١٠. الشماخي: السير: ٥. ر. عمار الطالبي: آراء الخوارج الكلامية ٨٨/٩٨-٩٨. وقد توسع في ترجمته. ويقول الزركلي: «من أئمة الإباضية، كان ذا علم وراي وفصاحة وشجاعة وكان عجباً في العبارة. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم. الأعلام: ٤/٢٨٨.

حوّل الأمر إلى التسميات التي تبناها الشهرستاني ؟

١- أنصار معاوية : إن كان الخروج سياسيًا فإن جماعة معاوية هم ثاني من ينبغي أن يطلق عليهم اسم الخوارج بعد طلحة (٦٥٦/٣٦)، والزبير (٦٥٦/٣٦) في معركة الجمل (٦٥٧/٣٦)، لكن الأمويين وبيدهم السلطة اختاروا لأنفسهم التسميات التي تتماشى ومبدأ الحكم الوراثي، فانبثقت تسميات الإرجاء والجبر: أما الإرجاء فقد بين الشهرستاني أنه يرجع إلى معنيين: أولهما تأخير العمل على النية، وثانيهما الإقرار بأنه لا تضرر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة حيث يقول: « الإرجاء على معنيين: أحدهما بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ (٧ الأعراف ١١١)، والثاني: إعطاء الرجاء. أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح. لأنهم كانوا يؤخرون العمل على النية والعقد. وأما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون : لا تضرر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة »^{١٢}.

ثم يذكر الشهرستاني أبرز من دانوا بالإرجاء من فقهاء الأمة فيقول: «تتمة رجال المرجئة كما نقل : الحسن بن محمد ابن علي بن أبي طالب (٧١٨/١٠٠)، سعيد بن جبيرة الأسدي (٧١٤/٩٥)، وطلق بن حبيب (مات بين ٩٠ و ١٠٠ / ٧٠٨ - ٧١٨)، وعمر بن مرة (٧٣٧/١١٨) ومحارب بن زياد (٧٣٤/١١٦)، ومقاتل بن سليمان (٧٦٧/١٥٠) وذو بن عبد الله الهمداني (٧٠٠/٨٠)، وعمر بن ذر (٨٠٤/١٨٩)، وحمام بن أبي سليمان (٧٣٨/١٢٠)، وأبو حنيفة (٧٦٨/١٥٠) وأبو يوسف (٧٣٨/١٨٢)، ومحمد بن الحسن (٨٠٤/١٨٩)، وقديد بن جعفر. وهؤلاء

كلهم أئمة الحديث، لم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيرة ولم يحكموا بتخليدهم في النار خلافا للخوارج والقدريّة^{٦٤}.

وأما الجبريّة: فيتعرّض لهم الشهرستاني أثناء الحديث عن القدريّة ليقيم تقابلا بين الطرفين. « على أنّ الجبريّة والقدريّة متقابلتان تقابل التّضادّ »^{٦٥}، كما يعرف الجبر بما يلي: « هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الربّ تعالى »^{٦٦}. وقد عرف معاوية وجماعته بالجبريّة لقولهم بأنّ الإنسان لا اختيار له. ونلاحظ حينئذ أنّ في القول بالإرجاء والجبر تبريرا لكيان الدولة الأمويّة. كلّ هذا لا يضعه الشهرستاني في إطاره التاريخي بصورة واضحة وإنّما يكتفي بذكر الصّفاتية، ويعود إليها عدّة مرّات ليتدرّج بها إلى أنّهم السّلف ثمّ أهل السّنة ثمّ الأشاعرة. وفي ذلك يقول: « وكان بين المعتزلة وبين السّلف في كلّ زمان اختلافات في الصّفات، وكان السّلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامي، بل على قول إقتاعي ويسمّون الصّفاتية »^{٦٧}. ثمّ يقول عن الأشعري (٩٤٢/٣٣٠) الذي كان معتزليّا « وجرت مناظرة بين أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وبين أستاذه أبي علي الجبائي (٩١٦/٣٠٣) في بعض مسائل التّحسين والتّقبيح، فألزم الأشعري أستاذه أمورا لم

٦٤ ن.م: ١٦٨/١٦٩.

٦٥ - الإرجاء: يسمى القائلون بالإرجاء المرجئة، من الفرق الإسلامية المتقدّمة في الزّمن، ويذكر ونسينك مختلف أقوال كتاب المقالات في شأن الإرجاء. ومن أسس المرجئة أنّه لا يضرّ مع الإيمان معصية وأنّ طاعة الإمام الجائر واجبة فلا ثورة ولا خروج، ويرجون النّجاة لكل المؤمنين يوم القيامة وإن ماتوا على المعصية ولذلك سمّوا بأهل الوعد على عكس المعتزلة الذين سمّوا بأهل الوعيد. ر. محمد الطالبي: الإرجاء، دراسات في تاريخ إفريقية. منشورات الجامعة التونسية المطبعة الرسمية تونس ١٩٨٢. ٣٥٩-١٨٤. cf. EΠ tome3.784

٦٥ ن.م: ٥٦/١.

٦٦ - الجبريّة: الجبريّة أو المجبرة تسمية أطلقت على إحدى الفرق الإسلامية من قبل خصومهم على أساس أنّهم يقولون بأن حركة الإنسان كحركة الشمس لا تدخل للإنسان فيها، فهو مجبر. وهي الفرقة المقابلة للقدريّة أو المعتزلة التي تقول بحريّة الإنسان. ر. EI2 tome2. P 375

٦٦ ن.م: ٩٧/١.

٦٧ ن.م: ٤٤/١.

يخرج عنها بجواب فأعرض عنه وانحاز إلى طائفة السلف ونصر مذهبهم على قاعدة كلامية، فصار ذلك مذهباً منفرداً^{٦٨}. كما يقول: «ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون، سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة»^{٦٩}. ثم يقول: «أما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل، ولا تهدفوا لتشبيههم مالك بن أنس رضي الله عنه (٧٩٥/١٧٩)، إذ قال: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ومثل أحمد بن حنبل رحمه الله. وسفيان الثوري. وداود بن علي الأصبهاني ومن تبعهم»^{٧٠}. ثم يختم حديثه عن الصفاتية عامة قبل أن يتحول إلى التفصيل بما يلي: «... وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة (السلف) فأيد مقالهم بمناهج كلامية، وصار مذهباً لأهل السنة والجماعة، وانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية»^{٧١}.

فواضح إذن أن الشهرستاني تدرّج تدرّجاً مرناً عبر كتاب الملل في تسمية هذه الفرقة ليصل بها إلى أحسن الأسماء «أهل السنة والجماعة» وذلك ليربط هذه الفرقة التي ينتمي إليها بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم والذي ذكر أنها الفرقة الناجية.

وينبغي أن نلاحظ أن الشهرستاني غفل أو تغافل عن الإشارة إلى أمرين

٦٨. ن.م: ٤٤/١.
- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٩٤٢/٣٣٠): من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري. مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم، ثم رجع وجهر بخلافهم توفي ببغداد. من أهم مؤلفاته: «مقالات الإسلاميين» ط جران. «الإبانة عن أصول الديانة» ط. اللع في الرد على أهل الزيغ والبدع. ط. ر. الزركلي: الأعلام ٢٦٣/٤.
- محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي (أبو علي) (٢٣٥-٨٤٩/٣٠٣-٩١٦): من أئمة المعتزلة. ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبت الطائفة «الجبائية» له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبت إلى جبئ من قرى البصرة. اشتهر في البصرة، ودفن بجبئ. له «تفسير» حافل مطول، رد عليه الأشعري. ر. الزركلي: الأعلام ٢٥٦/٦.

٦٩. ن.م: ١٠٤/١.

٧٠. ن.م: ١٠٥/١.

٧١. ن.م: ١٠٦/١.

ذكرنا عن الأطراف المقابلة يحدّدان معنى « السّنة » في هذه التسمية :

فالعلويون لا يعتبرونها سنة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، ولكن يعتبرونها السّنة التي أقامها معاوية وهي متمثلة في لعن الإمام علي في خطب الجمعة، ولم تبطل هذه العادة إلا مع عمر بن عبد العزيز (١٠١/٧٦٠)، وبهذا انقلب الأمر من التمدّح إلى الذمّ.

أمّا « الجماعة » فهي أيضا تتحوّل إلى شيء من الذمّ ذلك أنّها تذكر باضطرار الإمام الحسن بن علي^ص إلى التّخلّي لمعاوية سنة (٤٠/٦٦١) فسُمّي العام عام الجماعة، والعلويّون يعتبرون أحقيّة الإمام الحسن في الخلافة ولكن معاوية قلبها لصالحه وسُمّي العام عام الجماعة.

بهذا يتّضح في النهاية أنّ النزعة العاطفيّة لعبت دورا مع نفوذ السّلطان ليكون التيّار الأموي - عند الشّهريستاني - هو الممثل للسّلف، وبما أنّهم يثبتون الصّفات فهم صفاتيّة ومن هناك صاروا أهل السّنة والجماعة، وليكونوا في النهاية أشعريّة. كما أنّ هذا السّلطان سلّط حربا نفسيّة على بقيّة الفرق المناوئة لسُلطانه ويتجلّى هذا في الألقاب التي لُقّب بها هذه الفرق والتي تبنّاها الشّهريستاني بكلّ بساطة.

٧٢ - الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي (أبو محمد) (٣-٥٠/٦٢٤-٦٧٠) زثناني الأنمّة الاثني عشر عند الإماميّة. ولد في المدينة المنورة، وأمّه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكبر أولادها وأولهم. غزا أصبهان. بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠/٦٦٠. انطلق لحرب معاوية ثم اختار الصلح، فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية في بيت المقدس سنة ٤١/٦٦١، وسُمّي هذا العام «عام الجماعة» لاجتماع كلمة المسلمين فيه. استقر بعد ذلك في المدينة حيث توفي سنة ٥٠/٦٧٠ وقيل قتل مسموما. مدّة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام. وإليه ينسب الحسينيون. نقش خاتمه: «الله أكبر وبه استعين». ر. الزركلي: الاعلام ٢/١٩٩-٢٠٠.

٢- جماعة علي : إن وجدنا عند الشَّهرستاني تدرّجاً في تحويل تسمية جماعة معاوية فإنَّ الأمر يختلف بالنسبة إلى جماعة الإمام علي ذلك أن الشَّهرستاني يتفق مع كتب الفرق المنتمة لجماعة علي والمخالفة لها على أنَّ هذه الكتلة قبلت من المنطلق تسميتها بالشيعة، ولم تر في ذلك أي ضرر رغم ما نجد في المدلول اللغوي لهذه اللفظة من معنى التعصّب والانغلاق، ولهذا لا نجد إشكالا بالنسبة إلى تسمية هذه المجموعة، وقد استمرّت إلى يومنا هذا تتبنّى هذه التسمية بل تعزّز بها وتعتبرها أساساً من أسس الدِّفاع عن كيائها لأنها ترى من خلالها ارتباطاً وثيقاً بآل البيت، ومثل هذا الارتباط جعل هذه الفرقة تعتبر أنّها أقرب الفرق إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فهي إذن أصحّ الفرق وهي الفرقة الناجية.

٣- المحكّمة : إن الشَّهرستاني، وإن ذكر كلمة المحكّمة فإنّه يعتبر أن التسمية التاريخية لهذه الفرقة إنّما هي الخوارج، وأشار إلى أن منطلقهم يعود إلى ذلكم الرّجل الذي اعترض على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عند قسمة الغنائم : اعتبر حديث ذي الخويصرة التميمي إذ قال : « اعدل يا محمد فإنك لم تعدل ». حتّى قال عليه السّلام : « إن لم أعدل فمن يعدل ؟ » ثمّ عاد اللّعين وقال : « هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى ». ثمّ يعلّق الشَّهرستاني فيقول : « وذلك خروج صريح على النّبّي عليه الصّلاة والسّلام، ولو صار من اعترض على الإمام الحقّ خارجياً، فمن اعترض على الرّسول الحقّ أولى أن يصير خارجياً، أو ليس ذلك قولاً بتحسين العقل وتقبيحه وحكما بالهوى في مقابلة النص، واستكباراً على الأمر بقياس العقل ؟ حتّى قال عليه السّلام : سيخرج من ضئضئ هذا الرّجل

قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يتجاوز حناجرهم... يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود^{٧٣}.

- ٧٣ ن.م: ٢٨-٢٩. والحديث في مسلم ٣: ١١١.
- حرقوص بن زهير السعدي (٦٥٧/٣٧): الملقب بذي الخويصرة: صحابي، من بني تميم. خاصم الزبير فأمر النبي صلى الله عليه وسلم باستيفاء حقه منه. وأمره عمر بن الخطاب بقتال «الهرمزان» فاستولى على سوق الأهواز ونزل بها. ثم شهد صفين مع علي. وبعد الحكمين صار من أشد الخوارج على علي، فقتل فيمن قتل بالنهروان. وفي سيرته اضطراب.
 - وإياه عنى أحد شعراء الخوارج، بقوله من أبيات رواها المبرد:

وأسأل الله بيع النفس محتسباً حتى الآقي في الفردوس حرقوصاً

- ر. الزركلي: الأعلام ١٧٣/٢. لم يذكر الزركلي الدرجيني ضمن مراجعه. لكنه أثبت اضطراب الأخبار في سيرته. معنى ذلك أنه لم يرو عنه إلا ما اقتنع بصحته.
- أما الدرجيني الذي يعتبر حرقوص بن زهير السعدي من الطبقة الأولى من طبقات الإباضية مع عبد الله بن وهب الراسبي وهما من الجذر المشترك مع المحكمة فيدافع عن حرقوص كما يلي: «وحرقوص هذا هو الذي انتحلت فيه أحاديث لا يبعد أن تكون مصنوعة فإن فيها ما يدل على سقمها لتناقض ثبوتها، ولكن أكثرها منتحل، ورواها على طرق.
- فبينما ما نسب إليه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم خيبر «ما عدلت منذ اليوم» فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: ألا اقتله يا رسول الله؟ فقال إنه يكون لهذا أو لأصحابه نبأ.
- ومنها ما نسب إليه أنه لما قال ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «ويحك فمن يعدل إن لم أعدل؟» ثم قال لأصحابه واحداً بعد واحد: أيكم يقتله؟ فقال له الأول: «وجدته راكعاً». وقال الثاني: «وجدته ساجداً»، وقال الثالث: «لم أجده»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قتل هذا ما اختلف في الله اثنان».
- ومنها أنه قال وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا ورد عليه بين أربعة من المؤلفة قلوبهم، فزعموا أنه قال: «لقد رأيت قسمة لا أريد بها وجه الله»، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورد خذاه، ثم قال: «أمنني الله على أهل الأرض ولا تؤمنني؟» فقال: «إلا قتله يا رسول الله؟» فقال: «سيكون من ضنضي هذا اقوام تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم يمرقون من الدين - إلى قوله - وتتمارى في الفوق.
- وفي هذه الأخبار دلالة على سقمها من أوجه كثيرة:
- أحدها: أنه لو صح عنه أنه غير عدل إذ قال ما عدلت منذ اليوم، ما آمن ولا أقام على دينه ولا صلى إلى قبلته أحد.
- والثاني: لو صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه خاض بالطنع في النبوة لما أهمله، وكان هو المبتدر إلى قتله ولم يكله إلى غيره.
- الثالث: أنه لو صح ذلك عند عمر رضي الله عنه وأنه من المأمورين بقتله. وأعلم أنه مارق من الدين فكيف يستعين به على الجهاد، وهو أعظم إركان الدين، فيجعله أميراً على جنوده المؤمنين، وظهيرا على قتال الكافرين.
- الرابع: أنه لو صح عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك وأنهم مأمورون بقتله لم يتراخوا في قتله، بل يجعلونه أوكدر فرائضهم، فكيف تسامحوا حتى خرج ثم لم يكثرثوا به.
- الخامس: أنه صلى الله عليه وسلم منزّه عن أن ينسب إلى كلامه الغلو والمجازفة، حتى يقول لو قتل هذا ما اختلف في الله اثنان فيلزم على هذا أن تكون حياة حرقوص سبباً لكفر اليهود والنصارى، والصابيين والمجوس، وعبدية الأوثان، والمعطلة والزنادقة وغيرهم، وهذا من المحال الذي ينكره الحس وباباه العقل ويقوى الدليل على بطلانه، إذ لو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعاً، وحرقوص حياً ولو شاء لضلوا جميعاً قبل وجود حرقوص وبعد موته، لكنهم لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك^{١١} هود ١١٨ فقد اتفقوا واختلفوا، وبينهم من هو خير من حرقوص وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما اتفقوا واختلفوا وفيهم شر منه وهو أبو جهل، لعنه الله، فهذا يبعد أن يكون من كلام من لا ينطق عن الهوى.
- السادس: أنه قد شهد من ضنضه من حرق القرآن قلبه، وصدع كبده فضلاً عن مجاوزة الحنجرة، أعني في العمل به والامتنال لأوامره، والانتهاز عن مناهيه.
- السابع: ذكر المروق. فراك أعلم بالمارق. وبالصّ السارق، وقد حقق كثير منهم ممرّ عاملاً بالإنصاف أن القوم إنما قاتلوا هروبا من اتباع الهوى وإطراحاً لزهرة الحياة الدنيا ورغبة فيما يرجونه عند الله في الدار الآخرة. وفيها أدلة كثيرة غير ما ذكرناه، فحرقوص مبرأ مما قالوه، ومما إليه نسبوا.
- أبو العباس أحمد الدرجيني (٦٧٠/١٢٧١): طبقات المشائخ بالمغرب. تحقيق إبراهيم طلاي. مطبعة البعث. قسنطينة. الجزائر. ٢٠٣-٢٠٤.
- أما عن الحديث فقد جاء برواية أخرى: «أنه سيكون من ضنضي هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر في النصل فلا ترى شيئاً وتنظر من الرصاص فلا ترى شيئاً وتتمارى في الفوق.
- الرصافة: عقبة تشد على مدخل سنخ النصل. ج رصائف. ويقال رصف السهم أي شد عليه رصافة.
- الفوق: من السهم: حيث يثبت السهم منه، وهما فوقان ج فوق وافوق. ويقول عليه السلام: «من ضنضي هذا» - من جنس هذا - مرق السهم من الرمية، إذا نفذ منها، وأكثر ما يكون ذلك أن لا يعلق به من دمه شيء». المبرد: الكامل

ثمَّ يبيِّن عند حديثه عن معركة صفّين أن من جاؤوا من صلب هذا الرَّجل اعترضوا على التَّحكيم فاعتبروا خوارج « هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر الحكمين... منهم حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثَّدية... (٦٥٧/٣٧) وهم الذين أولهم ذو الخوِصرة وآخرهم ذو الثَّدية... »^{٧٤}.

كما أنَّه يزيد حسب رأيه تسميتين أخريين لهؤلاء : الشَّراة. المارقين. ويتجلَّى هذا في قوله : « ومخالفة الخوارج (لعلّي) ، وحمله على التَّحكيم »^{٧٥}. وفي قوله : « وكذلك الخلاف بينه (عليّ) وبين الشَّراة المارقين بالنَّهروان عقدا وقولا... » ونصب القتال معه فعلا ظاهرا معروفاً، وبالجملّة كان عليّ رضي الله عنه مع الحقّ، والحقّ معه، وظهر في زمانه الخوارج عليه... »^{٧٦}.

هذا ما جاء في كتاب الملل في المقدمات. ثمَّ إنّ الشَّهرستاني لا يضيف شيئاً عن التَّسمية والألقاب عندما تحدّث عن الخوارج تفصيلاً سوى الإلحاح على فكرة

-
- وقد بيّن السَّالسي أن الحديث ورد في البخاري مع ما بين النّصين من اختلاف وبرّاه من الكذب إلّا أنّه أشار إلى أنّه « يأخذ عن أهل الأهواء ». شرح الجامع الصّحيح ٥٧/١.
 - ثمَّ أورد نصوصاً من سير الشَّماخي والسَّير العمانيّة في الثَّناء على أهل النَّهروان وألحَّ على أنّ المخالفين (غير الإباضية يروون إجابات غير صحيحة أو يتأوّلون). =
 - ثمَّ يبيّن إن الحديث عندنا (الإباضية) في علماء السَّوء وفي كلّ من خالف عمله كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلم. شرح الجامع الصّحيح ٥٨/١.
 - كما يمكن أن يحمل على غلاة الخوارج من الأزارقة والصّفرية القائِلين بشرك أهل الكبائر فإنَّهم يجتهدون في التَّحرّز والعبادة لنلا يقعوا في الشرك... وحمله على كلّ من خالف الحقّ في عبادته أظهر. السَّالسي : شرح الجامع الصّحيح ٥٩/١.
 - أمّا المحشّي في حاشية التَّرتيب (الجامع الصّحيح) فقد اكتفى بالشرح اللُّغوي ٥٥/١. وقد ورد الحديث عند الربيع بن حبيب : الجامع الصّحيح ١٢/١ عدد ٣٦.
 - وقد أخرجه البخاري في باب من ترك قتال الخوارج للتَّألف. ر. ابن حجر : فتح الباري. القاهرة ١٣٤٨ هـ ١٢/٢٤٤-٢٤٦.
 - وقد أورد المعجم المفهرس أنّه ورد في مسلم ٣ : ١.

هذا هو موقف الإباضية من القصة والحديث قد جاء في غاية الوضوح.

٧٤ ن.م : ١٣٣/١-١٣٤.

٧٥ ن.م : ٣٥/١.

٧٦ ن.م : ٣٦/١.

المروق من الدين. يقول : « إعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين رضي الله عنه جماعة ممن كان معه في حرب صفين، وأشدّهم خروجاً عليه ومروقا من الدين الأشعث بن قيس الكندي... »^{٧٧}

كما يذكر في موطن آخر : « وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان، وكبار الفرق، منهم : المحكّمة، والأزارقة، والنّجدات، والبيهسيّة، والعجاردة، والثّعالبة، والإباضيّة، والصّفريّة، والباقون فرعهم »^{٧٨}.

فالأساس عند الشّهري أن الخروج لم يبق خروجاً سياسياً، وإنّما صار خروجاً عن الدين ومروقا منه، لذلك يستحيل على من أسندت إليهم هذه التّسمية أن يقبلوها، وإنّما يعتبرونها من باب الألقاب.

والأشعري نفسه ينبّه إلى هذا فيقول : « وللخوارج ألقاب : فمن ألقابهم الوصف لهم بأنّهم خوارج. ومن ألقابهم الحروريّة، ومن ألقابهم الشّراة، والحرارية (٩) ومن ألقابهم المارقة، وهم يرضون بهذه الألقاب كلّها إلّا بالمارقة فإنّهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السّهم من الرميّة. والسبب الذي سمّوا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب، والذي له سمّوا حروريّة نزولهم بحروراء في أوّل أمرهم. والذي له سمّوا شراة قولهم : شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنّة »^{٧٩}.

٧٧ ن.م : ١/١٣٢.

- الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي (أبو محمد) (٢٣ ق هـ - ٤٠/٦٠ : ٦٦١) أمير كندة في الجاهلية والإسلام. اعتنق الإسلام بين يدي الرّسول عليه السلام. شهد اليرموك، فاصيبت عينه. امتنع عن تاديّة الزّكاة مع بعض قومه فهزمهم والي أبي بكر على حضرموت وأتى به إلى أبي بكر ليرى فيه رايه فاطلقه وزوجه اخته أم فروة فاقام في المدينة وشهد الوقائع وابلى اللّواء الحسن. ثم كان مع سعد بن أبي وقاص في حروب العراق. ولما آل الأمر إلى علي كان الأشعث معه يوم صفين، على راية كندة. وحضر معه وقعة النهروان. وورد المدائن، ثم عاد إلى الكوفة فتوفي فيها إثر اتفاق الحسن ومعاوية. ر. الزركلي : الاعلام ١/٣٣٢.

٧٨ ن.م : ١/١٣٣.

٧٩ الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مكتبة النّهضة المصريّة. القاهرة. ط ٢. ١٣٨٩/١٩٦٩. ج ١/٦٠٢-٦٠٧.

وإذا علمنا أن هذه الطائفة أقامت سلسلة من الثورات المتواصلة ضدّ الحكم الأموي فلا شكّ أنّ هذه الدّولة إلى جانب الفتك بهم عسكرياً اعتمدت على حروب نفسية من أسسها تلقيب هؤلاء النّاس بألقاب تبعد عنهم من يرغب في الانتصار لهم. وواضح أنّ موقف الشّهرستاني، رغم أنّه ذكر في مقدّماته أنّه يورد الأحداث كما هي: «وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كلّ فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصّب لهم...»^{٨٠}، بدا منحازاً بصفة صريحة حيث يقول: «وبالجملة كان علي رضي الله عنه مع الحقّ، والحقّ معه»^{٨١} وليس من حقّنا أن ننتقد الشّهرستاني لأنّه له أن يقف الموقف الذي يريد لولا أنّه اشترط على نفسه أن يتحدّث عن الفرق عن موقف محايد: «دون أن أبين صحيحه من فاسده، وأعيّن حقّه من باطله»^{٨٢}.

وإذا رجعنا إلى مصادر هذه الطائفة لا نجد منها الآن إلّا ما بقي عند الإباضية الذين اعتبرهم الشّهرستاني واحدة من فرق الخوارج، بينما تلاشت مصادر الفرق الأخرى مع الزّمن ولا نجد الحديث عنهم إلّا من خلال كتب خصومهم لذلك سنعتمد موقف الإباضية في انتظار أن يكشف التّاريخ عن بعض مصادر الفرق الأخرى.

إن من كتبوا في الفرق وعلم الكلام من الإباضية يرفضون رفضاً باتاً تلقيبهم بالخوارج على أساس أنّ هذه الكلمة غلب عليها مدلول الخروج من الدّين، كما يرفضون هذه الكلمة بمدلولها السّياسي لأنّهم يعتبرون أنّهم لم يخرجوا عن الإمام علي وإنّما هو الذي تخلّى عن بيعته الشرعيّة بتفويض الأمر إلى الحكّامين،

٨٠ الملل. ٢٢/١.

٨١ ن.م: ٣٦/١.

٨٢ ن.م: ٢٢/١.

ولذلك قد استتابوه قبل أن يبايعوا عبد الله ابن وهب الرسبي، فلما لم يقبل التوبة حسب مفهومهم أي لم يرجع إلى بيعته الأولى صاروا في حلّ من أنفسهم.

ثم يقولون لمن يتّهمهم بالخارجيّة كان أولى أن تسمّى جماعة طلحة والزبير خوارج لأنّهم خرجوا فعلا عن إمامة شرعيّة، وأولى أيضا أن يسمّى معاوية وجماعته خوارج لأنّه شقّ عصا الطّاعة برفضه التّخلي عن ولاية الشّام رغم صدور أوامر الخليفة الشّرعي بذلك، وهم بهذه الطّريقة يقلبون اللّقب على من وجّهه إليهم.

أمّا كلمة المارقة فلا شكّ أنّها وضعت إشارة إلى الحديث المذكور آنفا. ولا شكّ أنّ في هذا تجاوزا لمستوى النّبز بالألقاب إلى مستوى الإخراج من الملة والتّفكير، وظاهرة الحرب النفسيّة واضحة هنا دون أن تحتاج إلى تأويل.

أمّا التّسميات التي تتبناها هذه الطائفة، وهي لا تخلو من شحنة عاطفيّة،

فهي :

جماعة المؤمنين لأنّهم يرون أنّهم حافظوا على الإيمان عقيدة وقولا وعملا بخلاف المرجئة الذين يكتفون بالقلب، ويفصلون القلب عن العمل، ومن هذه صفته لن يكون إلّا الفرقة النّاجية من النّار.

المحكّمة : كما يقبلون تسميات نسبت إليهم كما يذكر الأشعري. المحكّمة:

إشارة إلى قولهم لا حكم إلّا لله، ويقصدون من خلال هذه الإشارة ألاّ سبيل إلى إيقاف الحرب في معركة صفّين لأنّ عملية رفع المصاحف خدعة، لا كما أوّلتها المجموعات الأخرى بأنّها كلمة حقّ أريد بها باطل. ومعلوم أنّه لا يطّلع على مواطن الإرادة إلّا الله عز وجلّ.

الشَّراة : كما يقبلون تسميتهم بالشَّراة جمع شار على أساس أنَّهم باعوا أنفسهم في سبيل الله.

الحرورية، أهل النهروان : وتتضاف إلى هذا تسميتان فيهما إشارة إلى موقعين نزلت فيهما هذه الجماعة. الموقع الأول: حروراء مكان قرب الكوفة ومنه الحرورية أو أهل حروراء. الموقع الثاني: النهروان قرب بغداد وهو المكان الذي بايعوا فيه عبد الله بن وهب الراسبي، وبه اشتهرت واقعة النهروان التي كاد علي أن يستأصلهم فيها، ومن هذا الموقع عرفوا بأهل النهروان.

ولسنا ندري لم غفل الشهرستاني عن إثارة هذه القضية رغم أنَّها جاءت صريحة عند شيخه أبي الحسن الأشعري في مقالاته كما أوردنا النص قبل حين. (ص ٦٧)

٤- القدرية : يقول الشهرستاني إن هذا اللقب يسند إلى من عرفوا بأصحاب العدل والتوحيد : « ويسمَّون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية ». كما يسند الشهرستاني لقبين آخرين إلى هذه الفرقة : المعتزلة، والمعطلة : « ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة »^{٨٣}. أمَّا المعتزلة فلاعتزال شيخهم واصل بن عطاء (٧٨٤/١٢١) حلقة الحسن البصري (٧٢٨/١١٠) ويقال لهم الواصلية، واعتزالهم يدور على...^{٨٤}.

٨٣ ن.م : ١٠٤/١.

٨٤ ن.م : ٦٠/١.

- واصل بن عطاء الغزالي (أبو حنيفة) (٨٠-١٨١/٧٠٠-٧٤٨) : من موالي بني ضبة من أو بني مخزوم، رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين. ولد بالمدينة ونشأ بالبصرة. ولم يكن غزالياً، وإنما لقب به لقرده على سوق الغزاليين بالبصرة، لقب أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري. ومنهم طائفة تنسب إليه « الواصلية ». وهو الذي نشر مذهب الاعتزال في الإفاق. بعث من أصحابه عبد الله بن الحارث إلى المغرب، وحفص بن سالم إلى خراسان، والقاسم إلى اليمن، وأيوب إلى الجزيرة، والحسن بن ذكوان إلى الكوفة، وعثمان الطويل إلى أرمينية. له تصانيف منها : « أصناف المرجئة ». و« المنزلة بين المنزلتين » و« معاني القرآن »... ر. الزركلي : الأعلام ١٠٨/٨-١٠٩.

كما يلقبهم الشَّهرستاني بلقب آخر اعتماداً على قولهم بعدم خلف الوعيد وهو الوعيدية.

والمُتأمل في مصادر هذه الفرقة يجد أنها اختارت لنفسها تسمية جذابة فمن يكره أن يكون من أهل العدل والتَّوحيد، ومن صفته هذه لن يكون إلاَّ الفرقة الناجية. ونحن نعلم أنَّه كان لهذه الطائفة فضل كبير على الفكر الإسلامي عامة وذلك بجراتها على إعمال العقل، وقد كَلَّفَتْها هذه الجرأة مثل هذه الألقاب، فهم قدرية إشارة إلى الحديث: «القدرية مجوس هذه الأمة» وإلى الحديث: «القدرية خصماء الرحمان في القدر»^{٨٥}.

وذلك لأنَّ هذه الطائفة ألحَّت على حرية الإنسان إلحاحاً كبيراً إلى حدِّ أنها نزعَت عن الله تعالى خلق الشرِّ تنزيهاً له وجعلته من خصائص الإنسان، هذا بالنسبة إلى اللَّقب الأوَّل، أمَّا اللَّقب الثاني وهو المعطلة فقد تردَّد علماء الكلام كثيراً في شأن صفات الله تعالى هل هي صفات فعلية يوصف بها الله تعالى دون أن يكون لها كيان في الوجود، وقد اختارت هذه الطائفة المفهوم الثاني على أساس التنزيه فرماها الطرف الآخر بالتعطيل معنى ذلك بالكفر.

أمَّا لقب الاعتزال فمتفق على أنَّه يرجع إلى اعتزال واصل بن عطاء حلقة شيخه الحسن البصري وفيه ضرب من التَّهجين والاحتقار، ولم تر هذه الفرقة في ما نعلم حرجاً من هذا اللَّقب لأنَّها تعتبر أنَّ الحسن البصري من أقطابها وإن اختلف مع تلميذه في قضية المنزلة بين المنزلتين.

٨٥ ن.م: ٥٦/١.

حديث «القدرية مجوس...» انظر ما سبق ص ٥٧ تعليق ٣٩.
- حديث «القدرية خصماء» لم يرد في المعجم المفهرس.

بقي لقب الوعيدية ويلقب به المحكمة أيضا على أساس قولهم بأن الله عادل، فكما أنه لا يخلف وعده لا يمكن أن يخلف وعيده، وهذا ركن من أركان الفكر الاعتزالي يبنى عليه القول بخلود من مات على كبيرة، دون أن يتوب منها، في جهنم.

وخلاصة القول إن الشهرستاني رغم تحريه، ورغم انتباهه إلى التمييز بين التسميات والألقاب فإنه قد انحاز انحيازاً واضحاً لفرقة والتمس لتطور تسمياتها عديداً من المبررات، بينما لم يحاول أن يفهم منطق الفرق الأخرى من داخل منظوماتها، ولذلك اعتبر أن فرقة هي الفرقة المقياس، فما وافق عند الفرق الأخرى ما قال به الأشاعرة فهو الصواب وما لم يوافق ما جاء عندهم فيشار إليه بالألقاب، وهذا خطأ، ولم يكن الشهرستاني بدعاً في هذا بل واكب من سبقوه من أمثال الملطي^{٨٦} (٩٨٨/٣٧٧) والأشعري.

وبقي أن نشير إلى أن الشهرستاني وقع بصفة عامة في خطأ منهجي بالنسبة إلى التسميات والألقاب إذ أطلقها على أصحابها قبل أن توجد الفرق بصورة جلية^{٨٧}، وكان أولى وخاصة في المقدمات أن يشير إلى التيارات بصفة مجردة ليصل إلى مرحلة تبلور التسميات حيث صارت من المسلّمات التي اتفق عليها الناس واتفقت عليها كتب الفرق.

٨٦ محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الحسن الملطي العسقلاني (٩٨٧/٣٣٧) : قال عنه ابن الجزري : « نزيل عسقلان فقيه، مقري، متقن ثقة ». عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية. من أهل « ملطية ». نزل بعسقلان وتوفي بها. له تصانيف في الفقه وغيره، منها: « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ». ط. حققه زاهد حسن الكوثري وقدم له ط بيروت ١٣٦٨/١٩٤٩. وله « قصيدة » في ٥٩ بيتاً، عارض بها قصيدة لموسى بن عبيد الله الخاقاني، في وصف القراءة والقراء. ر. الزركلي: الاعلام ٣١١/٥. ومقدمة الطبعة المذكورة لكتاب « التنبيه والرد ».

٨٧ نقصد من خلال هذه الملاحظة أنه كان أولى بالشهرستاني وإن كانت الأسماء متداولة بين الناس، ألا يستعملها من البداية عند الحديث عن بذور هذه الفرق، وذلك تماشياً مع منطق الأحداث ليكون أقرب إلى الموضوعية التي ألزم بها نفسه. فيحسن مثلاً في البداية عند الحديث عن الشيعة أن نقول انصار الإمام علي أو ما شابه ذلك إلى أن يتبلور المصطلح، ذاك أن هذا المصطلح لم يتبلور إلا فيما بعد، وكذا بالنسبة إلى بقية الفرق.

الخاتمة

من خلال إجاباتنا عن التساؤلين المطروحين في المقدمة يمكن أن نسجل بعض السمات التي يميّز بها الشهرستاني في كتاب الملل والنحل :

١ - إمام شاسع ودقيق بخصائص المدرسة الأشعرية والعوامل التي جعلتها تملأ الساحة الإسلامية في عدة مواطن.

٢ - سيطرة عقلية واضحة على مختلف الأحداث التي ولدت الفرق الإسلامية على تشعب هذه الأحداث.

٣ - قدرة واضحة على عرض هذه الأحداث عرضاً مختصراً غير مخل فكان في ذلك عند وعده.

٤ - منهجية واضحة في ما يوحى بذكر عوامل النشأة رغم تشابك هذه العوامل، مع وعي تام بتقديم العامل الأصولي والعامل السياسي على غيرهما.

٥ - قدرة واضحة على حسن التصرف في المنقول عن مختلف المصادر دون الوقوع في محاكمته، بل استغنى حتى عن الإحالة عليه وهذا ليس بالأمر الهين.

لكن هذه الميزات لا تمنع من أن نذكر بعض ما في عمله هذا من نقائص، نعلم أنّه يصعب تجاوزها في ذلك العصر خاصة، وفي مثل هذه البحوث العقديّة التي يعسر فيها بل يستحيل على الإنسان أن يتخلّى عن قناعاته الذاتية وعن مناصرة المدرسة التي ينتمي إليها. بل إنّ ذلك يعدّ من الحسنات آنذاك في مثل هذا

الفنّ، ولنا في ما يجري في المناظرات الكلاميّة من أحجيات أحيانا أقوى دليل على ذلك. وما هذه المؤلّفات إلّا ضرب من المناظرات الهادئة، التي يعتبر فيها المؤلّف أنّ فرقتة هي النّاجية وبقية الفرق هلكى.

١ - الانحياز المطلق إلى المدرسة الأشعرية.

٢ - اعتبار هذه المدرسة مقياسا، فما جاء عند بقية الفرق مخالفا للأشاعرة يعتبر من الباطل.

٣ - اختيار أحسن الأسماء لهذه المدرسة : إنهم أهل السنّة والجماعة.

٤ - السّكوت المطلق عن المطاعن التي وجّهت لهذه المدرسة حتّى من باب دحضها.

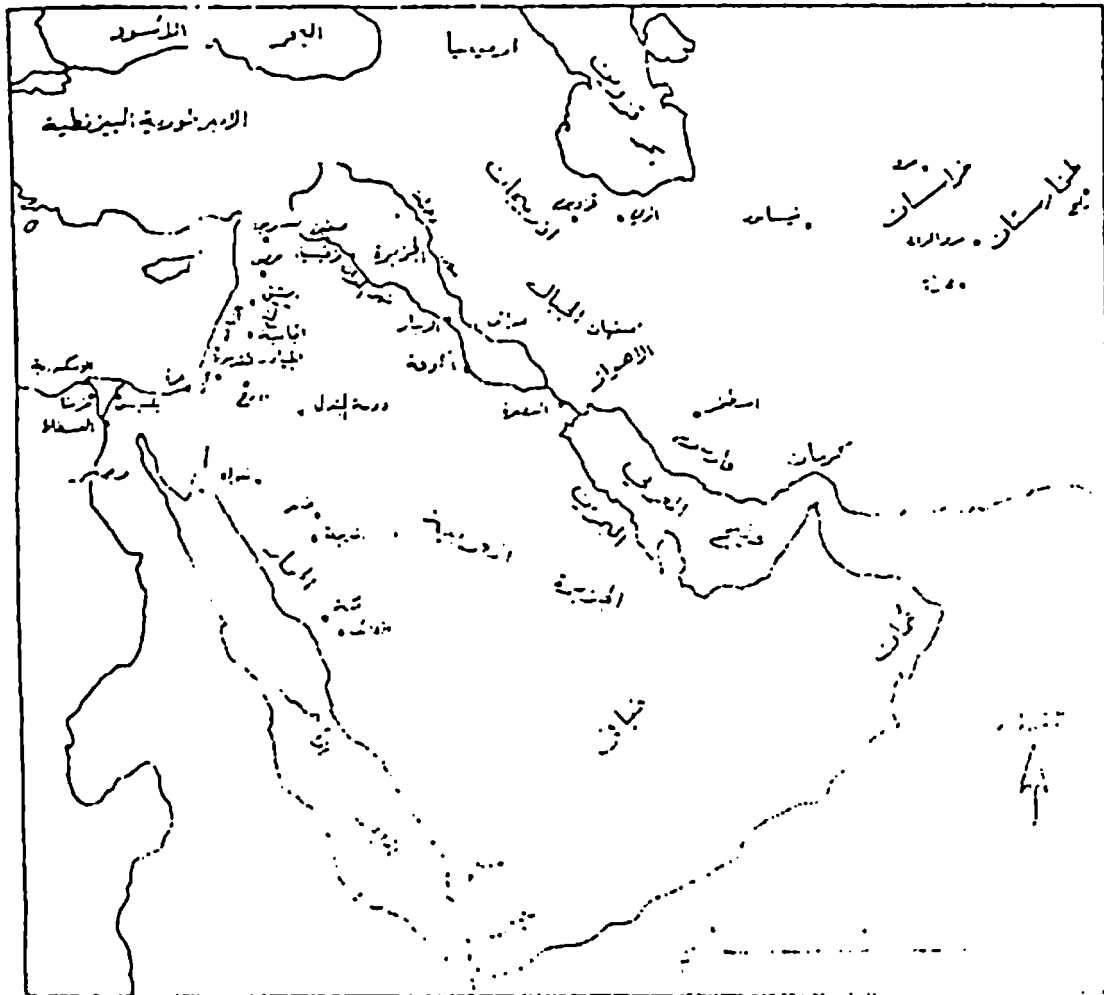
٥ - نبز بقية الفرق الأخرى بالألقاب دون محاولة النّظر في رفض هذه الفرق لمثل هذه الألقاب.

٦ - السّكوت عن مصادر كثير من الفرق المخالفة للأشاعرة رغم ذكره الاطلاع على المصادر واقتناصه أو انسها وشواردها.

٧ - لم يحاول مناقشة حديث الفرق بل طوّعه لخدمة فرقتة ولا نشك في اطلاعه على عدد من بقية الروايات لكنّه سكت عنها مطلقا.

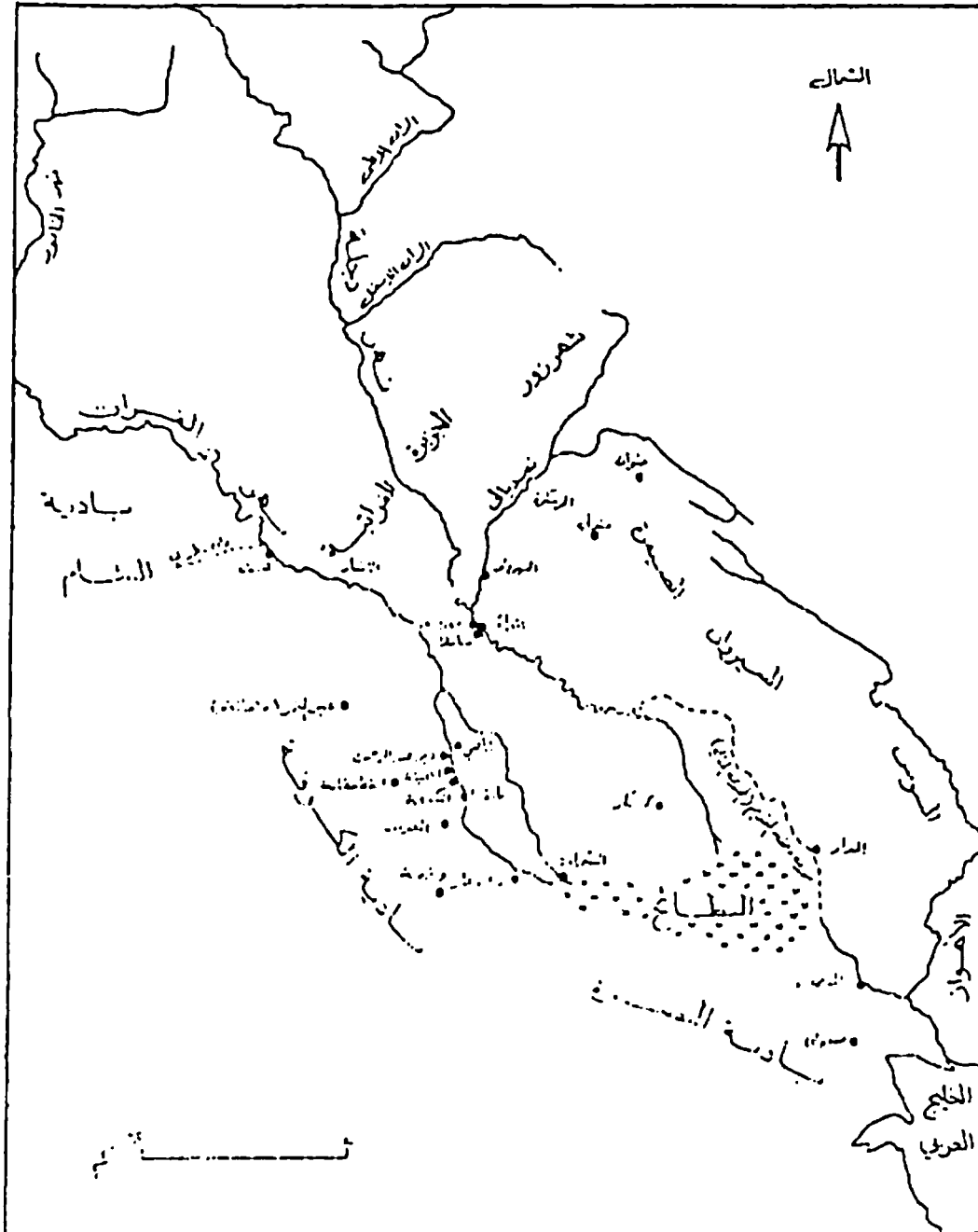
ومع هذا يبقى كتاب الملل والنحل للشهرستاني وثيقة تاريخيّة هامّة للتّعرف على عوامل نشأة الفرق الإسلاميّة وتسميتها وألقابها على ألاّ يعتبر ما قاله قولا فصلا يقبل كلّ، بل يبقى منه ما ثبتت صحّته بعد النّقد والتّمحيص، ويرفض ما لم يخضع لمقاييس البحث العلمي المعتمدة.

خارطة (١): الدولة الإسلامية في زمن الفتنة

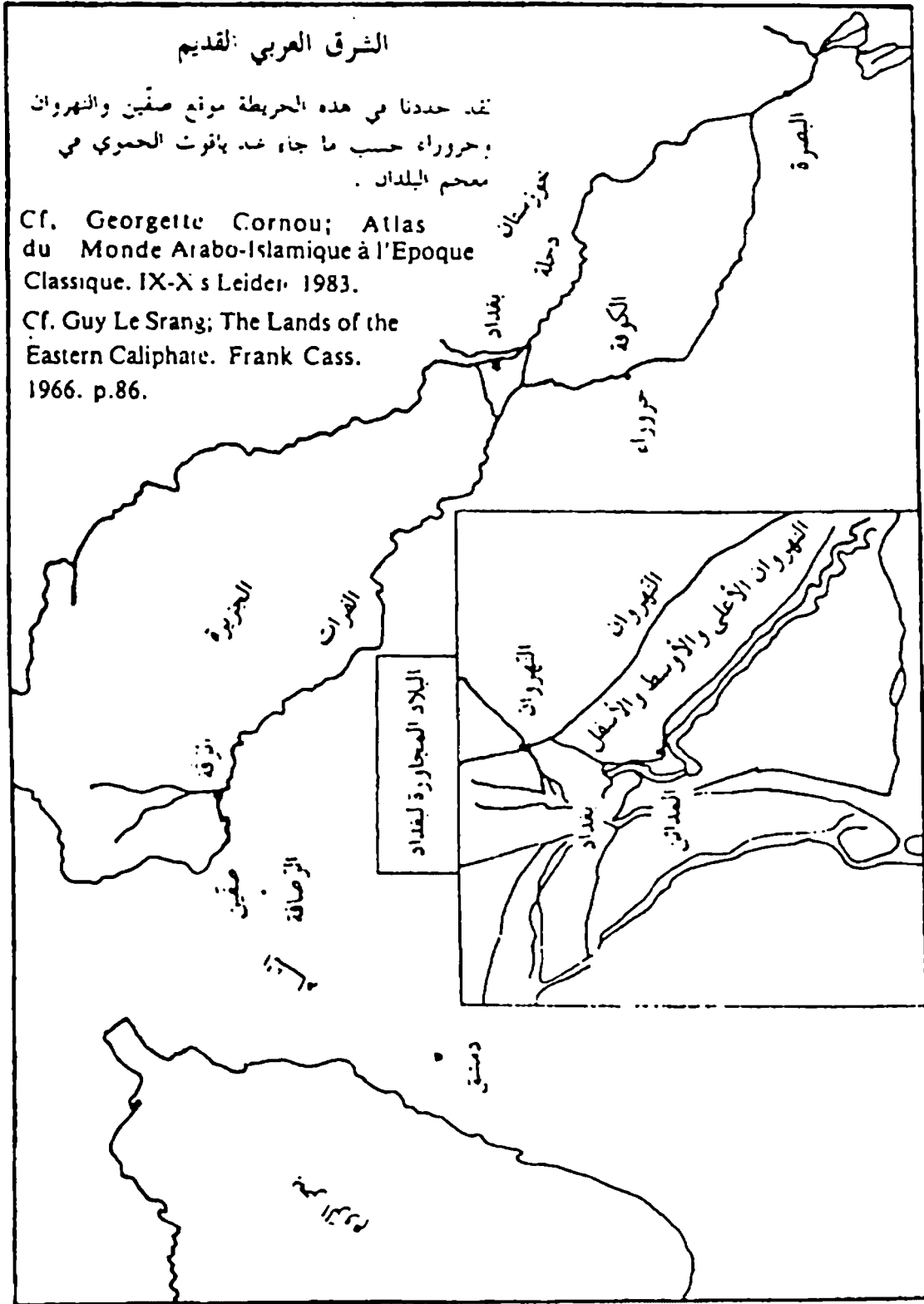
[illegible]

جند - جردة، العرب والأرض في العراق في عصر الإسلام

خارطة (٢): العراق في زمن الفتنة



عن حسن مؤسر. أفلس تاريخ الإسلام
فاري وهزارد. أفلس التاريخ الإسلامي
هشام جعبي. الفتنة



المصادر والمراجع

المصادر :

- القرآن الكريم : برواية ورش عن الإمام نافع بخط محمد بن سعيد شريفي في
القرارة ٢٦ رمضان ١٣٩٨ وقامت بطبعه ونشره الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
بالجزائر. رقم النشر ٧٧٢/١٩٧٩.
- الحديث الشريف : اعتمدت كتب الصّاح لإثبات نصوص الحديث المتعلقة
بالفرق.
- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ٤٧٩-٥٤٨/١٠٨٦ -
١١٥٣ : المثل والنحل تمتاز هذه الطبعة بالفهارس العامة. تحقيق أمير علي مهنا
وعلي حسن فاغور. دار المعرفة. بيروت. لبنان. ط٤. ١٤١٥/١٩٩٥. اعتمدنا
في البداية طبعة أخرى ثم عندما صدرت هذه الطبعة أرجعنا إليها جميع
الإحالات.

المراجع :

- ابن أبي ستة (عمر بن يحيى) (١١/١٧) :

المجموع المعول لما عليه السلف الأول. خ بالبارونية. جربة. به ٦٢ ص ١٧ سطر
(١٥/١٦) صم. - د.ت.

- ابن جميع (أبو حفص عمر) (٨/١٤) :

مقدمة التوحيد وشروحها لأحمد الشماخي وداود التلاتي، صَحَّحها وعلق عليها
أبو اسحاق ابراهيم اطفيش. - ط ١ القاهرة ١٣٥٣ هـ، ١٢٠ ص. إعادة طبعه
ط ٢ خليفة الشيباني بطرح تحقيق ابراهيم اطفيش، ط ٢. دار الفتح لبنان
١٣٩٢/١٩٧٣. ١٦٧ ص.

- ابن حسن (بلقاسم) (معاصر) :

آراء أبي منصور الماتريدي الكلامية : رسالة مقدمة لقسم الكلام والتصوف
بالكلية الزيتونية للحصول على دكتوراه الحلقة الثالثة بإشراف د. علي الشاذلي.
السنة ١٤٠٢/١٩٨٢، مرقونة بمكتبة الكلية الزيتونية. ٤٢٦ صفحة الحجم
الكبير. ٢٠ سطرًا بالصفحة.

- ابن حزم (٤٥٦/١٠٦٤) :

الفصل في الملل والأهواء والنحل. مطبعة التمدن. نشر دار الفكر.
١٩٠٣/١٣٢١.

- ابن خلدون (عبد الرحمان) (٨٠٨/١٤٠٦) :

المقدمة وكتاب العبر، ط بيروت ١٩٦٧.

- ابن خلفون (أبو يعقوب يوسف) (١٢/٦) :

أجوبة ابن خلفون، تحقيق وتعليق د. عمر خليفة النامي- دار الفتح للطباعة والنشر بيروت. ط١. ١٣٩٤/١٩٧٤، ١٢٨ ص.

- ابن سلام (لؤاب) (بعد ٢٧٣/٨٨٧) :

كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين. تحقيق الشيخ سالم بن يعقوب وقيرز سفارتز. دار صادر بيروت ١٤٠٦/١٩٨٦.

- ابن عبد السلام (جعفر بن محمد) :

إبانة المناهج في نصيحة الخوارج. خ ضمن مجموع بدار الكتاب الوطنية بالقاهرة رقم ٢٥٤٩٩ ب من ورقة ١٥٤-١٦٩، نسخ عبد الله الحرّاني ١٣٤١ ومنه نسخت المخطوطة التي بين أيدينا. الناسخ سيد حسن عشناوي ١٩٨٢. ٥٨ ص بكل منها ١٥ سطرا، ٢٥ X ١٥ صم

- ابن يوسف (سليمان بن داود) (معاصر) :

الخوارج هم أنصار الإمام علي كرم الله وجهه. الطبعة الأولى. ١٤٠٣/١٩٨٣. دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر. ٢٣٤ ص.

- أبوزهرة محمد (معاصر) :

تاريخ المذاهب الإسلامية. جزآن. ط دار الفكر العربي. د.ت.

- أبو عمرو عثمان بن خليفة المارغني السوفي (١٢/٦) :

. كتاب السؤالات. خط مغربي واضح : العناوين الهامة باللون الأحمر ٢٧٧ ص.

١٧/٥، ١٠ صم. عدد السطور بالصفحة : ٢٤، تم على يد ناسخه لنفسه ولمن

شاء الله بعده: عبد الله بن سليمان بن يحيى بن عيسى النفوسي، وقع الفراغ

منه يوم السابع من شوال سنة ١١٨٤/١٧٧٠ وهو بمجلد مع رسائل وكتب أخرى،

مصور عندي من مكتبة الهادي بوشداخ. فاتو. جربة.

.رسالة مختصرة في الفرق الإباضية ط الجزائر د.تص ٥٣-٧٠.

- أبو عمار عبد الكافي (قبل ٥٧٠/١١٧٤ م) :

كتاب الموجز في الكلام، حققه د. عمار الطالبي بعنوان: «آراء الخوارج الكلامية»

(انظر عمار الطالبي). يبدأ من ص ٢٥٥ بالجزء الأول، وينتهي في آخر الجزء الثاني

ص ٣٠٨.

- أبو مهدي عيسى بن اسماعيل (٩٧١/١٥٦٤) :

الرد على البهلولي. - طبعة حجرية بالمطبعة العلمية بحاضرة تونس ١٢٢١. ضمن

مجموع بعنوان : الرد على العقبي. لامحمد اطفيش من ص ١٠٦-١٨٧.

- أبو اليقظان إبراهيم (١٣٩٣/١٩٧٣) :

دفع شبه الباطل عن الإباضية الوهبية المحقة. مقال مخطوط بالقرارة.

١٣٨٦/١٩٦٦ به ٨ صفحات من الحجم الكبير ٢٨/١٥، ٢٨ سطرا. يرد فيه

على ٣ أسئلة : ١) هل الإباضية الوهبية من الخوارج ؟ ٢) هل الإباضية الوهبية

من القتلة السفاحين لدماء أهل التوحيد ومن المعتدين عليهم ٢٩) من هم رؤوس
الخوارج في ذلك العهد ؟

- الاسفراييني (أبو المظفر) (١٠٧٨/٤٧١) :

التبصير في الدين وتمييز الفرقة عن الفرق الهالكين. تحقيق كمال يوسف
الحوت. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية. عالم الكتب ط ١. ١٤٠٣/١٩٨٣.
بيروت.

- إسماعيل (محمود) (معاصر) :

الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت، دار الدعوة ١٩٧٦. ٣٣٦ ص.

- الأشعري (أبو الحسن) (٩٤٢/٣٣٠) :

. الإبانة عن أصول الديانة. حققه وخرّج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة
دار البيان. دمشق. بيروت ط ١. ١٤٠١/١٩٨١.

. كتاب اللّمع في الرد على أهل البدع. تحقيق د. حمّودة غرابة. نشر مكتبة
الخانجي. القاهرة. ١٩٥٥.

. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيى الدين عبد
الحميد. ط ٢ مكتبة النهضة المصرية. ١٩٦٩/١٣٨٩. - ج ١ : ٣٥١ ص ج ٢ :
٢٨٠ ص.

- اطفيش (محمد بن يوسف) (١٩١٤/١٣٣٢) :

إزالة الاعتراض على محقّي أهل إباح. ط حجرية ١٣١٤ هـ.

- بكير (سعيد أعوش) (معاصر) :

دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر ط ١
١٩٨٢/١٤٠٢، ١٦٠ ص.

- البرادي (أبو القاسم بن إبراهيم) (١٤/٨) :

رسالة الحقائق - حجرية ضمن مجموع. الجزائر. د. ت. من ٣٣-٥٥

- البغدادي (عبد القاهر) (١٠٣٧/٤٢٩) :

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط
بيروت ١٤٠٠/١٩٨٠. ٣٣٥ صفحة.

- البلخي (أبو القاسم) (٩٣١/٣١٩)، القاضي عبد الجبار (١٠٢٤/٤١٥)،
والحاكم الجشمي (١١٠١/٤٩٤) :

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، حقّقها فؤاد سيد. الدار التونسية للنشر تونس
١٩٧٤/١٣٩٣. ٤٥١ ص.

- بيّوض إبراهيم (١٩٨١/١٤٠١) :

الإباضية ليسوا خوارج، ضمن أجوبة وفتاوى. نشر دار الدّعوة، نالوت ليبيا
١٩٧١/١٣٩٠ من ص ٣٧-٥٣.

- الجعّيري (فرحات) :

البعد الحضاري للعقيدة الإباضية. مطبعة الألوان الحديثة. سلطنة عمان. نشر
جامعة السلطان قابوس ١٤٠٨/١٩٨٧.

- جولد تسيهر (اجناس) (١٩٢١/١٣٤٠) :

العقيدة والشريعة في الإسلام، تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين
الإسلامي. ٤٠٧ ص. - نقله إلى العربية وعلق عليه د. محمد يوسف موسى ود.
علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق. - الطبعة ٢ : ١٣٧٨/١٩٥٩.
الناشر : دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد.

- حسن (إبراهيم) :

تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي ج ١ ط بيروت ١٩٨٠.

- د. خليفات (عوض) (معاصر) :

نشأة الحركة الإباضية. - نشر بتعزید من اتحاد المؤرخين العرب ١٩٧٨. مطابع
دار الشعب. عمان. الاردن. ٢٢٦ ص.

- الدرجيني (أحمد بن سعيد) (أبو العباس) (١٢٧١/٦٧٠) : طبقات المشائخ
بالمغرب. حققه إبراهيم طلاي. مطبعة البعث قسنطينة الجزائر د.ت جزآن.

- الربيع بن حبيب (حوالي ١٧٠/٧٨٦) :

الجامع الصحيح مسند الامام الربيع بن حبيب، حققه أبو إسحاق إبراهيم
أطفيش على ترتيب الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني. ط ٢
القاهرة ١٢٤٩ هـ. - المطبعة السلفية ومكتبتها، مجلد واحد يحتوي على ٤ اجزاء

ج ١ : ٨٠ ص، ج ٢ : ٧٨، ج ٣ : ٢٤ ص، ج ٤ : ٤٠ ص.

- السّامي (عبد الله) (١٩١٤/١٣٣٢) :

. مشارق أنوار العقول، صححه وعلق عليه مفتي سلطنة عمان أحمد ابن حمد الخليلي، ط ٢ مطابع العقيدة، سلطنة عمان ١٣٩٨/١٩٧٨-٤٦٧ ص.

. شرح الجامع الصحيح.- ط ٢. المطابع العالمية، سلطنة عمان د. ت ٢ أجزاء ج ١ : ٣٥٤ ص، ج ٢ : ٤٠٠ ص. ط ١ الجزء الثالث صححه وعلق عليه عز الدين التنوخي. يحتوي على ٦٤٤ ص.- المطبعة العمومية دمشق ١٣٨٣/١٩٦٣.

- السّيابي (سالم بن محمود) (معاصر) :

اصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج، شرح سيدة اسماعيل كاشف. - ط. مطابع سجل العرب ١٩٧٩، نشر وزارة التراث، عمان، به ٦٥ ص.

- د. الشابي (علي) (معاصر) :

كتاب مباحث في علم الكلام والفلسفة، توزيع دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع. تونس، ط ١. ١٩٧٧. ٢٤٨ ص.

- الشّابّي (علي)، أبولبابة حسين، وعبد المجيد النجار (معاصرون) :

المعتزلة بين الفكر والعمل.- طبع بمصنع الكتاب للشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٩. ١٩٤ ص.

- شلبي (أحمد) (معاصر) :

موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ١. ط ٦ القاهرة. ١٩٧٤.
٤٧٦ص.

- الشماخي (أبو العباس أحمد) (١٥٢٢/٩٢٨) :

كتاب السير. ط حجرية، القاهرة. ١٣٠١هـ. ٦٠٠ صفحة.

- الطالبي (د. عمّار) (معاصر) :

آراء الخوارج الكلامية، تحقيق كتاب الموجز لأبي عمار عبد الكافي. - نشر
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ١٣٩٨/١٩٧٨. مطابع الشروق.
بيروت. القاهرة. - ج ١: ٤٢٦ ص، ج ٢: ٢٠٨ ص.

- الطالبي (د. محمد) (معاصر) :

- دراسات في تاريخ إفريقية وفي الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط. كلية
الآداب والعلوم الإنسانية بتونس، السلسلة الرابعة تاريخ. المطبعة الرسمية
للجمهورية التونسية. ١٩٨٢. ١٢٤٨ ص.

- الطبري (٩٢٣/٣١٠) :

تاريخ الأمم والملوك. دار المعارف، القاهرة ١٣٥٨/١٩٣٩.

- عبد الناظر (محسن) (معاصر) :

مسألة الإمامة والوضع في الحديث عن الفرق الإسلامية. الدار العربية للكتاب.
١٩٨٣. ٥٧٨ ص.

- الماتريدي (٩٤٤/٣٣٣) :

شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت. عني بطبعه ومراجعتة
عبد الله بن إبراهيم الانصاري. منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت.
١٣٢١هـ - ٤٤٠ص

- محمد عبده (١٩٠٥/١٣٢٣) :

رسالة التوحيد، تحقيق السيد محمد رشيد رضا ط ١٥، دار المنار. مصر. ١٣٧٢.
٢٠٨ ص.

- معمر (علي يحيى) (١٩٨٠/١٤٠١) :

الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث ٤٩٤
صفحة. مطابع سجل العرب. ط ١. ١٣٩٦/١٩٧٦.

- المهدي المرتضى (٩٢٢/٣٤٠) :

المنية والأمل في شرح الملل والنحل.

- المَلَطِي (محمد بن أحمد) (٩٨٧/٣٧٧) :

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع. قدّم له وعلّق عليه محمد زاهد الكوثري.
١٩٦٨/١٣٨٨، مكتبة المثني بغداد ومكتبة المعارف بيروت. ٢٢٠ ص.

- الوارجلاني (أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم) (١١٧٤/٥٧٠) :

كتاب الدليل لأهل العقول لباغي السبيل بنور الدليل، لتحقيق المذهب الحقّ

بالبرهان الصادق. ج ١ ص، ج ٢ : ١١١ ص. من ٨٥ إلى ١١١ تعلقة في المنطق.
كتاب مرج البحرين في المنطق، بحر اللفاظ في الكلم، وبحر المعاني والحكم -
ج ٢ : ٢٥٥ ص كتاب الرسائل. - ط ١ حجرية، حجم متوسط. المطبعة البارونية
الكائنة بطولون بمصر سنة ١٢٠٦ هـ. ط ٢. بعمان نشر وزارة التراث. مجلدان.

ملاحظة :

وإن لم نحل في التعليق على جميع المراجع المذكورة فإننا لا شك استفدنا
منها عند إعداد بحثنا عن العقيدة الإباضية ولولا ذلك ما تمكنا من إنجاز هذا
العمل.

النشريات العربية :

حوليات الجامعة التونسية : العدد ١٨ / ١٩٨٠ : اعتقادات المعتزلة والقدرية
والصفاتية والحشوية وفرقها من كتاب الكشف والبيان. تأليف أبي سعيد محمد بن
سعيد الأزدي القلهاتي، تحقيق محمد بن عبد الجليل من ص ٨٩ إلى ٢١٤.

الكراسات التونسية ١٩٨١ عدد ١١٥-١١٦. عمر بن حمّادي: مقال حول حديث
« افتراق الأمة إلى بضع وسبعين فرقة ». ص ٢٨٧-٣٥٧.

المراجع العامة والمعاجم العربية

(ترتيب الفبائي)

- ابن منظور (محمد بن مكرم) (٧٩٩/٦٣٠).
لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، مرتّب حسب الالف بائية، قدّم له عبد الله العلائي. ٤ مجلدات. خصص الرابع للمصطلحات العلمية والفنية، عربي فرنسي انكليزي لاتيني. دار لسان العرب بيروت د.ت.
- خير الدين الزركلي :
الأعلام يحتوي على ٥٨ مجلدات دار العلم للملايين بيروت. ط٦. ١٩٨٤.
- محمد فؤاد عبد الباقي :
المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم. - مطابع الشعب ١٩٧٨. المعجم المتوسط
أشرف على طبعه عبد السلام هارون. - مطبعة مصر. شركة مساهمة مصرية
١٩٦٠-١٩٦١.
- ونسك (١٣٥٨/١٩٣٩) :
المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند ابن حنبل.
ابتدأ ترتيبه وتنظيمه ونشره أ.ب- ونسك وي ب منسج واتبع نشره الاتحاد
الأممي للمجامع العلمية. وب دي هاس وي ب فن لون وعات ب دي بروين مع

مشاركة محمد فؤاد عبد الباقي ٧ أجزاء من سنة ١٩٣٦/١٩٦٩.

- ياقوت الحموي (١٢٢٩/٦٢٦) :

معجم البلدان : ٥ مجلدات. دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة

والنشر. بيروت ١٣٧٤/١٩٥٣.

- دائرة المعارف الإسلامية

. الطبعة الفرنسية.

المراجع الأجنبية

(ترتيب ألفبائي حسب أسماء المؤلفين)

Cuperley Pierre :

- Professions de foi ibadites , contribution à L'étude de L'ibadisme et de sa théologie. Doctorat d'Etat. Université de Paris - IV - Sorbonne. Lettres et Civilisation. Paris ٢ ١٩٨٢ Tomes ١ ٦٥٥p ٢^e Tome ٢٠٨p + ٧١p. Textes arabes.

Ennami A.K.

Studies in Ibadism. Accompanied by a critical edition of.

١) Section II, part ١ of K. Qawaid - Islam of Ismail b. Mu s à al-Jitali.

٢) K. Usul al-Din of Tabghurin b. Dawud. b'Is a al-Malshuti.

٣) Ajwibat Ibn K halfun by' Abu Ya'qub yusuf b Khalfun.

A thèse submitted to the university of Cambridge for the degree of Doctor of Philosphy. Fitzwilliam College Cambridge May ١٣٠ ١٩٧١p.

Laoust H.

Les Schismes dans l'Islam. Paris? Payot. ١٩٦٥.

النشريات الأجنبية :

Békri (Cheikh)

Le Kharijisme berbère, quelques aspects du royaume rustumide, dans A.I.E.O.
XV, (1957), 55-108.

Ennami A.K.

A description of new Ibadi manuscripts from North Africa, dans Journal of
Semitic, 1970, I, 63-87.

فهرس الآيات القرآنية

حسب ترتيب السور

الآية	رقمها	السورة ورقمها	الصفحة
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ..	٧	آل عمران ٣	٤١
وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ.....	٦٩	آل عمران ٣	٢١
وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا.....	١٠٣	آل عمران ٣	١٩
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا.....	١٠٥	آل عمران ٣	١٨
وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ.....	١٥٣	الأنعام ٦	٢٠
إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ.....	١٥٩	الأنعام ٦	١٩
قَالُوا أَزِجُّهُ وَآخَاهُ.....	١١١	الأعراف ٧	٦٠
وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ.....	١٨١	الأعراف ٧	٢٣
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ.....	٤٦	الأنفال ٨	٢٠
وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً.....	٥٢	المؤمنون ٢٣	٢١
وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا.....	٩	الحجرات ٤٩	٢١
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى.....	١٣	الحجرات ٤٩	٥١
أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ.....	١٩	المجادلة ٥٨	٢١
أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.....	٢٢	المجادلة ٥٨	٢١
وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ	٥-٤	البينة ٩٨	١٩

فهرس الأحاديث

(ترتيب ألفبائي)

الصفحة	الحديث
٢٤	افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة.....
٣٥	الأئمة من قريش.....
٢٥	إن أهل الكتابين افترقوا.....
٢٤	إن بني إسرائيل قد افترقت.....
٦٤	إن لم أعدل فمن يعدل.....
٢٤	تفرقت اليهود.....
٥١	دعوها إنها منتنة.....
٢٣	ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.....
٢٥	سيأتي على أمتي ما أتى على بني إسرائيل.....
٦٤	سيخرج من ضنضي هذا الرجل قوم.....
٧١	القدرية خصماء الله في القدر.....
٤٧	القدرية مجوس هذه الأمة.....
٤٧	المشبهة يهود هذه الأمة.....
٢٣	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق.....
٤٨	لتسلكن سبيل الأمم قبلكم.....
٥٤	نحن معاصر الأنبياء لا نورث.....
٢٠	هذا سبيل الله مستقيما.....

فهرس الأعلام
(ترتيب ألبائ)

الأعلام	الصفحة
أدم	٤٩-١٨
إبراهيم حسن	٥١
إبراهيم طلاي	٦٥
إبليس	٤٩-٤٧-١٨
ابن حزم	٤٨
ابن الجزري	٧٢
ابن الجوزي	٤٨-٢٤
ابن خلدون	٣٨-٣٥
ابن خلكان	١٦
ابن سينا	١٦
ابن عباس	٤٣
ابن ماجه	٤٨-٢٤-٢٣
أبو بكر الصديق	٦٧-٥٤-٥١-٤٠-٣٦-٣٢-٣١
أبو الحسن بن حمويه	١٦
أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري	٧٢-٧٠-٦٩-٦٧-٦٢-٦١-٢٣
أبو حنيفة	٦٠
أبو داود	٤٨-٢٥-٢٤-٢٣
أبو الفداء	١٦
أبو القاسم الأنصاري	١٦
أبو جهل	٦٥
أبو سفيان	٣١
أبو علي الجبائي	٦٢-٦١
أبو عمر	٤٨
أبو مسلم الخراساني	٥٣
أبو منصور (الإمام)	١٦

٦٢-٢٢	أبو موسى الأشعري
١٦	أبو نصر القشيري
٢٤	أبو هريرة
٦٠	أبو يوسف
١٦	أحمد الخوافي
١٦	أحمد الليثي
٦٢-٥٤-٤٨-٢٥-٢٤-٢٢	أحمد بن حنبل
١٦	أرسطاطاليس
٣١	أسامة
٢٩	أسامة بن زيد الكلبى
١٦	أسعد الميهني
٦٧	الأشعث بن قيس الكندي
٢٩	الأصم
٦٧	أم فروة
٢٤	أنس بن مالك
٧٠	أيوب
٦٦-٥٤-٢٢	البخاري
١٦	البيهقي
٢٥-٢٤-٢٢	الترمذي
٦٥	ثمود
١٥-٧	الجعبي (فرحات)
٢٧	جعفر الصادق
٤٨	جعفر بن الحارث
١٨	جول لابوام
١٦	حاجي خليفة
٢٤	الحاكم النيسابوري
٤٢	الحجاج
٤٨	حذيفة
٦٦-٦٥	حرقوص بن زهير السعدي
٧١-٧٠	الحسن البصري
٧٠	الحسن بن ذكوان

٦٧-٦٣	الحسن بن علي بن أبي طالب
٦٠	الحسن بن محمد
٣٧	الحسين
٧٠	حفص بن سالم
٦٠	حماد بن أبي سليمان
١٦	الخضر
١٦	الخوارزمي
٥٤-٤٨-٢٣	الدارمي
٦٢	داود بن علي الأصبهاني
٦٥-٥٩	الدرجيني
٦٠	ذو بن عبد الله الهمداني
٦٦	ذو الندية
٦٦-٦٥-٦٤	ذو الخويرة التميمي
٦٦-٤٨	الزبيع بن حبيب
٧٢-٥٧	زاهد الكوثري
٦٩-٦٥-٦٠	الزبير
٧٢-٧٠-٦٧-٦٥-٦٣-٦٢-٥٩-٤٥-٤١-٤٠-٣٦	الزركلي
٥٩	زياد بن حفصة
٣٧-٣٦	زيد بن علي
٣٧	زيد بن علي بن الحسين بن علي
٦٥	السالمي (عبد الله)
٥٩	سرحان الأزكوي
٦٧-٥٩-٢٤	سعد بن أبي وقاص
٦٠	سعيد بن جبير الأسدي
٦٢	سفيان الثوري
٦٦-٥٩	الشمّاحي
١٦	شهاب الدين الواعظ
٣٢-٣١-٢٣-٢٢-١٨-١٧-١٦-١٥-١٤-١٣-١٢-٧ -٤٣-٤٢-٤١-٤٠-٣٩-٣٨-٣٧-٣٦-٣٥-٣٤-٣٣ -٥٦-٥٥-٥٤-٥٣-٥١-٥٠-٤٩-٤٧-٤٦-٤٥-٤٤ -٧١-٧٠-٦٨-٦٧-٦٦-٦٤-٦٣-٦٢-٦١-٦٠-٥٩ ٧٤-٧٣-٧٢	الشهرستاني
٢١-٢٠	الشيطان

٤٨	الصّاحب بن عبّاد
١٦	صدر الدّين الشّيرازي
٦٩-٦٠	طلحة
٦٠	طلق بن حبيب
٧٠	عبد الله بن الحارث
٣٨	عبد الله بن الزّبير
٤٠-١٢	عبد الله بن سبأ
١٦	عبد الله بن طاهر
٣٩	عبد الله بن عمر
٢٥	عبد الله بن عمرو
٢٠	عبد الله بن مسعود
٦٩-٦٥-٥٩-٣٤-٣٣	عبد الله بن وهب الرّاسبي
٤٣	عبد الملك بن مروان
٥٥-٥١-٤١-٤٠-٣٢	عثمان
٧٠	عثمان الطّويل
٢٤-٣١-٣٢-٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٥٢- ٥٩-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-٧٠-٧٢	عليّ بن أبي طالب
١٦	عليّ بن أحمد المدائني
١٦	علي حسن فاعور
١٦	علي مهنا (أمير)
٥٩-٥٠	عمّار الطّالبي
٦٥-٥٥-٥٤-٥١-٤٠-٣٧-٣٦-٣٢	عمر بن الخطّاب
٢٧-٢٦-١٤	عمر بن حمّادي
٦٣	عمر بن عبد العزيز
٤٣	عمران بن حصين
٣٣	عمرو بن العاص
٦٠	عمرو بن ذرّ
٦٠	عمرو بن مرّة
٢٤	عوف بن مالك
٤٣	غيلان الدّمشقي

فاطمة	٦٣-٥٤-٣٨-٣٦
قابوس (السلطان)	١٣
القاسم	٧٠
قديد بن جعفر	٦٠
كيورتن	١٦
المأمون	٤٧-٤٦-١٦
مالك بن أنس	٦٢-٢٣
المبرد	٦٥
المتوكل	٤٨-٤٦
محارب بن زياد	٦٠
المحشي	٦٦
محمد (صلى الله عليه و سلم)	لاتكاد تخلو من اسمه الكريم صفحة
محمد أبو زهرة	٣٦
محمد الطالبي	٦١
محمد بن الحسن	٦٠
محمد بن مسلمة الأنصاري	٣٩
محمد رشيد رضا	١٩
محمد عبده	١٩
محمد فؤاد عبد الباقي	١٦
محمد محي الدين عبد الحميد	٦٧
مروان بن الحكم	٥٥-٣٣
مسلم	٦٦-٦٥-٥٤-٢٣
معاوية بن أبي سفيان	٦٩-٦٧-٦٤-٦٣-٦١-٦٠-٥٩-٣٥-٣٤-٣٣-٢٥
معبد الجهني	٤٣
المعتصم	٤٧
مقاتل بن سليمان	٦٠
الملطي	٧٢
المنذري يحيى بن محفوظ	٥
المهدي المرتضى	٣٦
المهدي المنتظر	٥٠
موسى (الرسول)	١٦

٧٢	موسى الخاقاني
٣٨	نجدة بن عامر (الحروري)
٥٤-٢٣	النسائي
٤٧	هارون
٥٩	هاني الأرحبي
٦٥	الهرمزان
٤٧	الواثق
٧١-٧٠-٣٦	واصل بن عطاء
٦١-٣	ونسك
٥٤	ياقوت الحموي
١٦	يوسف

فهرس القبائل والفرق والملل والأجناس

(ترتيب ألفبائي)

الفرقة	الصفحة
الإباضية	٦٨-٦٧-٦٦-٦٥-٥٦-٢٥
الأزارقة	٦٧-٦٦
الأزد	٧٦
الأشعرية	٧٤-٧٣-٧٢-٦٣-٦٢-٦١-٥٩-٥٢-٤٦-٤٥-٤٤
آل البيت	٦٤-٥٢-٣٩-٢٨
الإمامية	٦٣-٣٧
الأنصار	٣٢-٢٠
أهل (أصحاب) العدل والتوحيد	٧١-٧٠-٥٩-٥٢-٣٩
أهل الأهواء	٤١-٣٤-٢٥-٢٢
أهل حروراء	٧٠-٦٧-٣٨-٣٤
أهل الذبائنات	٤١-٢٢
أهل السنة والجماعة	٧٤-٦٣-٦٢-٦١-٥٢-٤٢-٣٥-٢٦-٢٣
أهل الكتاب	٢٥-٢١
أهل النهروان	٧٠-٦٦-٣٤
أهل الوعد	٦١
الأوس	٢٠
البراهمة	٤١
البربر	٥٦-٥٣
بنو إسرائيل	٢٥
بنو أمية - الامويون	٦٣-٦٠-٥٦-٥٥-٥٢-٥١-٤٩-٤٠-٣١
بنو العباس	٥٦-٢٩
بنو تميم	٦٥
بنو حنيفة	٤٣
بنو ضبة	٧٠
بنو مخزوم	٧٠

٢٥	بنو مروان
٥٤-٣١	بنو هاشم
٦٧	البيهسية
٦٧	الثعالبة
٦٢	الجبائية
٦١-٦٠-٥٢-٤٤	الجبر
٦٩	جماعة المؤمنين
٨٢	الحسنيون
٢٠	الخزرج
٦٨-٦٧-٦٦-٦٥-٦٤-٦١-٦٠-٥٩-٤٤-٣٩-٣٥-٣٤-٣٣	الخوارج
٤١	الذهرية
٤٨	الذيمية
٤٧-٣٧	الزافضة
٣٣	الزبيريون
٦٥-٢٤	الزنادقة
٣٦	الزيدية
٤٠	السيئة
٦٣-٦٢-٦١-٣٥	السلف
٧٢	الشافعية
٧٠-٦٧-٦٦	الشرارة
٧٢-٦٤-٥٩-٥٠-٤٥-٤٤-٤١-٣٩-٣٨-٣٧-٣٦-٨	الشيعة
٦٥-٤١	الصابئة
٦٣-٦٢-٦١-٥٩-٥٢-٤٥-٤٤-٣٥	الصفاتية
٦٧-٦٦-٥٦	الصفورية
٥٣	العباسيون
٦٥-٤١	عبدة الكواكب (الأوثان)
٦٧	العجاردة
٥٢	العجم
٥٠	العرب
٥٢	عرب تميم

٥٢	عرب الشام
٥٣	عرب تميم
٥٢	عرب العراق
٦٣-٥٦-٥٢	العلويون
٥٢	الفرس
٧١-٧٠-٦١-٥٩-٤٧-٤٥-٤٤-٢٤-٩	القدرية
٣٩-٣٥-٣٤	قريش
٤٥-٤٤	الكرامية
٦٧	كندة
٥٢-٤	الماتردية
٦٩-٦٧-٦٦	المارقون - المارقة
٤٤	المجسمة
٦٥-٤٨-٤٧-٤١-٢٢	المجوس
٧٢-٦٩-٦٧-٦٥-٦٤-٥٩-٥٦-٥٢-٥٢-٣٩-٣٨-٣٤	المحكمة
٧٠-٦٩-٦١-٦٠-٥٢-٤٥-٤٤-٣٩	المرجلة (الإرجاء)
٦٣-٥٩-٥٥-٥١-٤٣-٤١-٣٩-٣٤-٢٢-٢١-٢٠-١٩	المسلمون
٤٧	المشبهة
٧١-٧٠-٦٢-٦١-٥٩-٤٧-٤٥-٤٤-٣٩-٣٥	المعتزلة
٧١-٧٠-٦٥-٦٢	المعطلة
٣٢-٢٠	المهاجرون
٤٤	النجارية
٦٧-٣٩-٣٨	النجدات (النجدية)
٦٥-٤٩-٤٧-٤١-٢٤-٢٢	النصارى
٧٠	الواصلية
٧٢-٧٠-٦١-٤٥-٤٤	الوعيدية (أهل الوعيد)
٦٥-٥٤-٤٧-٤١-٢٤-٢٢	اليهود

فهرس الأماكن
(ترتيب ألفبائي)

المكان	الصفحة
أرض العرض	٢٨
أرمينية	٧٠
أصبهان	٦٣
إفريقية	٦١-٥٥-٥٢
البحرين	٢٨
البصرة	٧٠-٦٢-٥٩-٥٢-٤٣-٤٠
بغداد	٧٠-٦٢-١٦
بيت المقدس	٦٣
بيروت	٧٢-٣٦-١٨-١٦
تونس	٦١-١٠-٧
جامعة السلطان قابوس	١٢
جامعة الوسط	١٢
جامعة تونس الأولى	١٤-١٣
جبي	٦٢
جربة	١١
الجزيرة	٧٠
الحجاز	٥٤-٤٠
حروراء	٧٥-٦٧-٣٨-٣٤
الحشّان (حومة)	١١
حضر موت	٧٠-٦٧
خراسان	٥٢-١٦

١٦	خوارزم
٦٥	خيبر
٤٣-٤٠	دمشق
٣٢-٣١	سقيفة (بني ساعدة)
٦٥	سوق الأهواز
١٦	شهرستان
٦٩	الشام
٦٧-٦٦-٦٥-٥٩-٣٣-٢٢	صفين
٦٧-٦٣-٥٩-٥٢	العراق
٧٢	عسقلان
٣٨-٥	عمان
٥٤-٦	فدك
٦٧-٦٦-١٩	القاهرة
١٢	القيروان
٤١	كلية الآداب متوبة
٧٠-٦٧-٤٠-٣٧-٣٦	الكوفة
٦٧	المدائن
٧٠-٦٧-٦٣-٥٣-٤٣	المدينة
٤٠	مصر
١٢	معهد القضاء (عمان)
٧٠-٥٣-٢٥	المغرب
٧٢	ملطية
١٦	النظامية
٧٠-٦٧-٦٦-٦٥-٥٩-٣٢	النهروان
١٦	نيسابور
٣٨	هجر
٦٧	اليرموك
٣٨	اليمامة
٧٠-٤٠	اليمن

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوعات
أ	تقديم الدكتور يحيى بن محفوظ المنذري
١١	الرموز
١٢	المقدمة
١٦	توطئة
١٧	أ. القرآن الكريم وقضية الفرق
٢٢	ب. الحديث الشريف وقضية الافتراق
٣٠	المبحث الأول : نشأة الفرق الإسلامية
٢١	١ - العوامل السياسية
٢١	أ) قضية الإمامة
٢١	١ - حدث السقيفة
٢٢	٢ - تمخض الافتراق عن الفتنة
٤٠	ب) قضية تعيين الولاة
٤١	٢ - العوامل الأصولية « العقديّة »
٤٧	٣ - العوامل الثقافية
٤٩	أ) اللاهوت اليهودي والمسيحي
٤٩	ب) الفلسفة اليونانية
٥٠	ج) الفكر الفارسي الفنوصي
٥٠	د) الفكر الهندي
٥٠	٤ - العوامل الاجتماعية
٥٣	٥ - العوامل المالية
٥٧	المبحث الثاني : قضية تسميات الفرق وألقابها
٥٩	تمهيد
٦٠	١ - أنصار معاوية

٦٤	٢ - جماعة علي
٦٤	٣ - المحكمة
٧٠	٤ - القدرية
٧٣	الخاتمة
٧٥	الخرائط
٧٨	المصادر والمعاجم
٧٨	المصادر
٧٩	المراجع
٨٩	النشرية العربية
٩٠	المراجع العامة والمراجع العربية
٩٢	المراجع الأجنبية
٩٣	النشرية الأجنبية
٩٤	فهرس الآيات القرآنية
٩٥	فهرس الأحاديث
٩٦	فهرس الأعلام
١٠٢	فهرس القبائل والفرق والملل والأجناس
١٠٥	فهرس الأماكن
١٠٧	فهرس الموضوعات

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٤٠٦

مطابع الدار الهندسية/القاهرة

تلفاكس: ٣٥٤٠٢٥٩٨ محمول: ٠١٢٢٣٤٩٠١١

